روايات مصرية

اختطاف

تاكسى

4

Looloo
www.looloolibrary.com

حسن الحلبى

مقدمة

إن كانت هـذه هى المرة الرابعة لك معى ؛ فأنت تعرفنى من لقاءاتنا السابقة حتمًا ، وتعـرف أننى (سامر رمضان) ، سائق تاكسى حاليًا ، وخبيـر فى الأمور التقنية والإلكترونية سابقًا ، وعملت مع المخابرات العامة لمدة عامين بدلاً من السجن ؛ لما سببته من دمار بعدد هائل من أجهزة الكمبيوتر حول العالم ، ذات مرّة ..

إن كانت هذه هى المرة الثالثة لك معى ؛ فأنت تعلم أننى متزوج ، وأن اسم زوجتى (ديالا) ، وأن ابنى (كريم) فى الصف الأول الابتدائى ، وأن لى جارًا صحفيًا اسمه (يوسف) ، وأننى تعرفت بطريقة غريبة نوعًا ما على رائد الشرطة (منذر خليل) ، الذى يريد أن يكون مهمًا بأى شكل ، وعلى (ديمترى) عالم الفيزياء الكيميائية الذى يعشق (البـوم) ، المتثائب طوال الوقت ، وعلى (همام خميس) الممرض الذى يقول بيتين من الشعر كل دقيقتين ..

إن كانت هذه هى المرة الرابعة لك معى ؛ فأنت تعلم أننى قدمت استقالتى مـن المخابرات العامة ، وتفرغت للعمل كسائق تاكسى ، بعد أن أصبت بثلاث رصاصات فى صدرى بسبب أحد عملياتى القديمة ، وبعد أن شعرت بالملل الشديد من كل تلك الأمور التى أشعر أنها مناسبة للأفلام أكثر من الواقع ؛ فأنا أكره المطاردات والرصاص ورجال العصابات وقضايا القتل والاغتيال ، وما شابهها من أمور لم تعد تثير حماستى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

إن كانت هذه هى المرة الرابعة لك معى ؛ فأنت تعلم أننى نلت إعجاب (ديمترى) و(منذر) ، وأنهما أخبرانى أننى سأعمل معهما فى أية قضايا جديدة لهما ، بعد افتتاح قسم المخابرات العلمية ، والذى أنا فيه مشرف على القسم التقنى .. سأعمل معهما بصورة غير رسمية طبعًا ولكن أمام للكل مجرد سائق تاكسى بسيط ..

أمَّا إن كانت هذه هى المرة الأولى لك معى ؛ فأنصحك بمراجعة السطور آنفة الذكر ، أو الكتيبات الثلاثة السابقة !

* * *

1 ـ حالة غريبة ..

آخذ نفسًا عميقًا وأخبئ الهواء كله فى صدرى ..

وأقفز ..

أطير فى الهواء مسافة مترين ، قبل أن تستقبلنى مياه البركة الدافئة بحنان ، وأغطس نحو الأسفل عدة أمتار ، فاتحًا عينى ، متأملاً الزرقة التى تغمر كل شىء من حولى ..

أنا فى نادى للياقة البدنية وبناء الأجسام ، وحاليًا فى بركة السباحة اللطيفة هذه ، كم يبدو هذا جميلاً !

بعد الأحداث العنيفة نوعًا ما والتى حدثت معى فى المغامرات السابقة ، كان لا بدّ من هذه الخطوة ..

خطوة إعادة جسدى إلى ما كان عليه !

كنت سابقًا رجلاً مختلفًا عن الرجل الحالى .. كنت كما أخبرتكم من قبل ؛ عميلاً قديرًا بكل معنى الكلمة .. قبل أن أتقاعد ، وأتفرغ لزوجتى (ديالا) وابنى (كريم) ، الذين تكبر محبتهم فى قلبى يومًا بعد يوم ..

الآن أنا مع إدارة المخابرات العلميـــة بصـــورة رسمية تمامًا ، بل وأعطونى منصب مدير القسم التقنى هناك أيضًا ، كما أعطونى سيارة تاكسى جديدة .. (تويوتا) اليابانية من طراز (كامرى) ، قوية فعلاً ، وأحببتها وأحببت مدى توفير الوقود بها بما أنها من السيارات الهجينة !

Looloo
www.looloolibrary.com

الآن أنا أعمل مع (منذر خليل) ، ومع غريب الأطوار (ديمترى) الذى يحتفظ ببطريق فى شقته !

الآن أنا أخرج من البركة ، وآخذ نفسًا عميقًا آخر بعد أن ضاق صدرى كثيرًا تحت الماء .. وأفتح عينى ..

أجلس على الحافة ، أنظر إلى الأطفـــال وهم يركضون بالشورتات القصيرة الملونة ، وأصواتهم تخترق أذنى وتمنحنى شعورًا جميلاً أحببته ..

هذا يومى الثالث هنا ، آتى كلّ يوم لأن على أن أحضر نفسى لما لا أعرفه .. لا أدرى ما الذى سيحصل لاحقًا .. لا أدرى من سأواجه أو ما سأجابه ..

هناك غموض كبير يحيط بكلّ شىء ، منذ اليوم الأول الذى عرفت فيه (ديمترى) و(منذر) و(همام) الممرض الشاعر .. هناك مدينة اسمها (مدينة الجماجم) وهناك (إيزين) و(دوراك) و(مونجاسا) .. هناك علاقة تربطنى بهذه الأسماء ، وهناك من اختطفنى وحاول إجبارى على قول أشياء ، أو فعل أمور ؛ كى يتحقق له ما يريد ..

ما علاقتى بكل هذا ؟

ما الذى يربط بينى وبين هذه الأشياء ؟

كيف اجتمع مسافر عبر الزمن ، مع مذؤوب متحول ، مع رجال آليين أعمارهم أكثر من ألف سنة ، مع فيروسات آدمية ، وحضارة قالوا لى فإنها تفوق حضارتنا بخمسة آلاف عام ؟

وكيف يعرفون وجهى وشكلى ؟

كيف يعرفون اسمى ؟

كيف يعرفون صوتى ، بل ويحفظونه فى أجهزة لهم كما عرفت منهم ؟

أسئلة كثيرة ..

أسئلة كثيرة ..

وأبدًا : لم آخذ الجواب الذى أريده !

يوتّرنى التفكير ، فأنهض وقد بدأ الصداع يقتحم رأسى المبلل ، وأتجه نحو دش الاستحمام ..

أنتهى وأرتدى ملابسى وأخرج ، والكامرى فى الخارج تنتظرنى بلونها الأصفر الجميل ..

أعـــود إلى البيت وأجلس قليلاً مع (ديالا) و(كريم) ، وأستعيد معهما شيئًا من توازنى .. لا شىء يعيد لى توازنى مثل وجودى معهما ..

يقول (كريم) :

ــ غدًا الجمعة يا بابا وعليك أن تأخذنا إلى أى مكان .. أشعر بالملل ، كما أننى أنجزت كل فروضى ..

أبتسم وأنظر نحو (ديالا) التى هزت رأسها إيجابًا ..

ــ حسنًا ، سنذهب غدًا إن شاء الله ، إلى حدائق الحسين ، أو إلى منتزه (عمّان) القومى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

من الأشياء التى تستفزنى فى بلدى (الأردن) ، أننا لا نملك الكثير من الأماكن التى يمكننا فعلاً أن نرتاح وأن نسعد بها .. وبما أننّى من سكان العاصمة (عمّان) ، فأنا محكوم بالمنتزهات القليلة جدًا ، والتى يمكننى أن آخذ ابنى وزوجتى إليها دون أن أنزعج ..

لكننى أعلم هذا .. غدًا سأنزعج بلا شك ، مع كل الزحام الهائل الذى سيكون فى الحدائق غدًا ..

يهم (كريم) بأن يقول شيئًا لى ، لكن رنة الهاتف سبقته :

إنه (منذر) !

جميل أنه اتصل بعد عدة أيام فقط من انتهاء قضية (سو) التى كنا نظنها أرملة رومانية وإذا بها ساحرة (مالاكان) هندية تريد قتلى ؛ لأننى أدس أنفى فى شئونها ! بدأت أسأم أجواء الركاب والأماكن والشوارع الكثيرة والزحام الفظيع .. بدأت أشتاق فعلاً لتلك الأجواء الخطيرة التى أشعر بها مع (ديمترى) و(منذر) ..

تلك الأجواء : التى تمثل جزءًا مهمًا للغاية فى تاريخى ..

تلك الأجواء : التى أنعشتنى بشكل عجيب ، ورسمت لى بداية طريق لا أعرف ما تطوراته القادمة ، فضلاً عن نهايته الغامضة ..

أنظر إلى (ديالا) نظرة ذات مغزى ، وأنهض من مكانى وأنا أضغط زر الإجابة ، ليأتينى صوت (منذر) فى ترحاب كعادته :

ــ مساء الخير أستاذنا الكبير ..

أقول له وقد دخلت مكتبى وأغلقت خلفى الباب :

ــ أهلاً أهلاً بالرائد المهم الذى تجمد الدماء فى العروق بسببه .. كيف حالك ؟

يضحك :

ــ بخير والحمد لله .. هل أنت بخير ؟ و(ديالا) و(كريم) ؟ كلكم بأحسن حال ؟

ــ الحمد لله ..

يقول باهتمام :

ــ اتصل بى (همـام) قبل سـاعة يا (سامر) ، وهناك قضية جديدة وغريبة ..

تستيقظ كل حواسى بداخلى وأشعر بالنشاط يتدفق فى عروقى ودمى .. أقول له باهتمام مماثل :

ــ ماذا هناك ؟

ــ هناك حالة غريبة وصلت المستشفى قبل عدة ساعات ، وكان من المطّلعين عليها (همام) ، ولحسن الحظ أن الحالة أتت أثناء نوبتجيته.. وقد شعر فورًا أن هناك أمرًا يفوق القدرات العادية فيما رآه واتصل بى ليخبرنى على الفور ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أقول مستعجلاً إياه :

ــ ثم ماذا يا (منذر) ؟

ــ تم أخذ الحالة فورًا إلى مبنى المخابرات العلمية ليقوموا بإجراء الفحص اللازم عليها ، وبعد ساعة سيتم نقلها إلى شقة (ديمترى) ليفحصها بأساليبه الخاصة ..

أقول له بسرعة :

ــ لا ، دعها تبقى فى المستشفى ، وليحضر (ديمترى) حقيبته وعدّته كاملة هناك ، هذا أفضل ..

يسكت قليلاً ، ثم يقول :

ــ حسنًا ، نلتقى فى المستشفى بعد ساعة ، حسنًا ؟

يقولها ويصمت قليلاً ، أنظر إلى ساعتى وأجدها تشير إلى السابعة والنصف مساءً ..

أتنهد وأقول له :

ــ حسنًا .. على أن أكتب بعض الأشياء فى مدونتى أولاً ، وسأحضر بعدها بإذن الله ..

يسألنى باستغراب وكأنه يسمع عنها للمرة الأولى :

ــ مدونتك ؟

أقول باستغراب مشابه :

ــ ألم أخبرك ؟ عندى مدونة وأنشر فيها كل فترة شيئًا من أفكارى وآرائى بالحياة ..

يضحك ويقول لى :

ــ جميل ، أنت سائق تاكسى ورجل مخابرات وكاتب بنفس الوقت ! آه صحيح : أنت رجل مهم أيضًا لحضارات سابقة منذ آلاف السنين ! هههههههه ! ممتاز ! أنت مثل النسكافيه يا صديقى ، ثلاثة فى واحد ولكن بطريقتك الخاصة .. حسنًا .. ننتظرك بعد ساعة ، ولا تتأخر .. سلام ..

ــ لحظة يا (منذر) !

أوقفه قبل أن يغلق الخط ، ليقول :

ــ نعم .

ــ لم تخبرنى ما هى الحالة بعد ..

يضحك ويقول :

ــ حقًّا ؟ إنه فقدان الذاكرة الذى يأتينى كلّ حين ..

ويسكتُ قليلاً كى يحرق أعصابى بما أننى من مؤسسى حزب كارهى الانتظار ، ويقول :

ــ الحالة التى أتت يا (سامر) متعلقة بطفلين .. توأمين ..

وسكت ، فاستعجلته :

ــ طيب ، ما بهما ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

يقول :

ــ الاثنان فى الثامنة من عمرهما والاثنان عيونهما ملونة وشعرهما أشقر بسبب أمهما غير العربية .. كما أنهما من سكان (عبدون) فى عمّان ..

أقول بنفاد صبر إذ لا تهمّنى هذه التفاصيل :

ــ هذا جميل ، أكمل أرجوك ..

ــ الطفلان كانا كأى طفلين فى العالم ، ولكن فى لحظة وبين الليل والصباح ، فوجئت الأمّ بملامح الطفلين تتغير خلال عدة ساعات إلى ملامح أخرى .. ليست ملامح وجوه أخرى بل نفس ملامحهما ، ولكن .. ولكن ..

أقول فى لهفة :

ــ ولكن ماذا ؟

يصدمنى :

ــ ولكن بدا كلّ منهما وكأنه كبر عشر سنوات خلال عدة ساعات يا (سامر) !!

* * *

2 ــ شيخوخة ..

قضيت بعض الوقت فى مدونتى وأعجبتنى بعض الردود التى كتبها بعض الزوار والقراء لى ، وكتبت خاطرة جديدة .. كل هذا وأنا أفكر بالذى قاله (منذر) ..

ما هذا بالضبط ؟

شيخوخة سريعة خلال عدة ساعات ؟

هل هذا حقيقى ؟

هل هذا ما حدث فعلاً أم أنه مجرد مرض جلدى نادر مباغت وغير معروف ، مثلاً ؟

وباء غامض ، ربما ؟

الذى جعــل (همام) يتصل مع (منذر) هــو أن التجاعيد التى على وجهى التوأم ليست تجاعيد مرضية ، أو تجاعيد رآها فى أى مكان قبل هذا اليوم ..

غريب !

المريح هنا أننا سنعرف ما الذى حدث بالضبط بعد قليل ، أو : هذا ما أريده على الأقلّ ..

أنتهى مما أفعل وأخرج من المدونة وأطفئ الجهاز ، وأخرج من البيت ، بعد أن أخبرت (ديالا) أن هناك لقاءً عاجلاً لا بدّ منه ، وبعد أن قبّلت (كريم) ووعدته برحلة غدًا ، يحدد هو وجهتها !

Looloo
www.looloolibrary.com

أجلس فى التاكسى وأنظر إلى ساعتى ، إنها الثامنة والربع تقريبًا ، أتصل على (منذر) وأنا أعدل مرآة السيارة ، مع جوابه :

ــ (منذر) ..

ــ (سامر) ..

يقول لى متعجلاً :

ــ أين أنت ؟

أضع المفتاح وأشغل السيارة ، وأطفئ المذياع قبل أن ينطلق صوته الصاخب بقوة كالعادة :

ــ فى التاكسى ، بطريقى إليكما ..

ــ أنا قريب منك ، انتظرنى كى نذهب معًا إلى (ديمترى) ، ونأخذه وننطلق إلى المستشفى ..

ــ حسنًا ..

أغلقت الخط وأخذت نفسًا عميقًا ، ثم شغلت المذياع على واحدة من القنوات الطربية .. الله ! ما هذا الحظ الذى يجعل الأغنية الأولى للعظيمة (أسمهان) ؟

أغمض عينى وأغيبُ قليلاً معها لعدة دقائق قبل أن يباغتنى صوت نقرات على زجاج نافذتى .. أفتح عينى بسرعة لأجد أنه وكما هو متوقع : (منذر) !

ابتسمت وفتحت الباب له بعد أن دار حول السيارة وجلس ، وأغلق الباب خلفه .. تبادلنا السلام ثم انطلقنا نحو (ديمترى) ..

اتجهنا نحو شقته أو مقرّه السرى ، وفى الطريق أخبره (منذر) أن ينزل خلال خمس دقائق ، وفعلاً وصلنا لنجده هناك فى انتظارنا ولكن بدون بومته ..

ــ أين البومة ؟

ــ إنها مريضة اليوم ، وستبقى فى البيت ..

أجابنى بصوت حاول أن يبعد عنه شبهة الاكتئاب ، لكن رجفة صوته خانته ..

أن يتعلق عالم بالفيزياء الكيميائية مثل (ديمترى) ببومة بيضاء تمنحه منظرًا سخيفًا وهى على كتفه ؛ هذا أمر لن أستطيع استيعابه مهما حاولت !

ننطلق إلى المستشفى ، ونتكلم عن أحوالنا فى الطريق ، وعن أخبار القسم التقنى الجديد ، قبل أن نصل ، وقد أصبحت الساعة تسعة إلا ربع تقريبًا ..

استقبلنا (همام) عند الباب ، وقال لنا بعد سلام سريع وعناق أسرع :

ــ الحالة من أغرب ما رأيت .. استشرت عدة أطباء ووصفت لهم ما أرى ، وأرسلت لهم الصور بالإيميل دون فائدة .. كلهم يقولون إن هذا شىء جديد تمامًا .. وخصوصًا مع الشيب !

ندخل ممر المستشفى و(منذر) يسأل باستنكار وقد علت الدهشة كل ملامحه :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ شيب ؟

يومئ (همام) برأسه وهو يزدرد لعابه :

ــ نعم ، شيب ! ملامح الطفلين اختلفت وكبرت عشرة أعوام على الأقل ، وهناك تجاعيد ، وهناك ملامح واضحة لكبر السن ، ولكن هناك شيئًا أيضًا !

نصل إلى المصعد وندخله ، ويضغط (همام) زر الطابق الثالث وهو يردف :

ــ .. الأب قلق للغاية ، والأم تبكى طوال الوقت وكأنها غير مصدقة لما حصل مع الطفلين .. أرجو أن تطمئناهما ..

يقول (ديمترى) :

ــ نحن سننشغل بالتحقيق وليس من واجبنا أن نجعل الأب والأم أكثر راحة ، هذه مهمتك أنت أيها الملاك الأبيض ..

نضحك جميعًا ، وأقول موجهًا كلامى إلى (همام) :

ــ لا عليك ، سأحادثهما أنا ..

يتوقف المصعد ونخرج كلنا منه ، ونمشى فى الممر نحو الغرفة التى يجلس فيها الطفلان مع الوالدين ، يتقدّمنا (همّام) مسرعًا بعد أن نظر إلينا نظرة ذات مغزى ..

نبطئ من سيرنا ، بينما غاب هو داخل الغرفة قليلاً قبل أن يخرج برفقة الوالدين ..

المسكينان !

ملامحهما تصرخ بحجم الصدمة التى تسيطر عليهما .. وجه الأب مصفرّ تزدحم فيه علامات التوتر والقلق والخوف والتوجس والرهبة فى آن واحد .. وجه الأم كوجه الأب تمامًا ، الفرق هنا فى العينين المنتفختين ، المحمرّتين ، من كثرة البكاء ..

نقترب من بعضنا ــ نحن وهُم ــ ، وأبادر بالحديث مشيرًا إلى نفسى وإلى زملائى :

ــ السلام عليكم .. اسمى (سامر رمضان) وهؤلاء هم زملائى من المخابرات العلمية ، (ديمترى) و(منذر) .. أرجو ألا تقلقا ، سنبذل كل جهودنا لنعرف ما الذى حدث ..

تنظر إلينا الأم نظرة باردة خاوية مثيرة للشفقة دون أن تقول شيئًا ، بينما يقول الأب بصوت مرتجف :

ــ الأمر تمّ خلال عدة ساعات يا أستاذ (سامر) .. عدنا من الخارج وفوجئنا بالطفلين فى هذه الحالة .. نائمين لا يدريان شيئًا..

أعقد حاجبى فى تساؤل ، بينما يقول (منذر) :

ــ كنتما فى الخارج ، وعدتما لتجداهما فى هذه الحالة ؟

يهز رأسه إيجابًا ويقول :

ــ نعم .. لم نغب سوى عدة ساعات فقط وقبلها كانا كما فى هذه الصورة تمامًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أغمغم :

ــ عدة ساعات فقط ؟ هممممممممم !

يمدّ الأب يده نحو جيبه ويخرج صورة فوتوغرافية صغيرة ، ويعطيها لـ (منذر) ، الذى نظر إليها قليلاً ثم أعطانى إياها ..

أنظر إليها ، وأنا أشعر بالحسرة التى تمزق الأبوين !

التوءمان ، من الطراز الوسيم جدًا ، وقد أعطتهما أمهما الحسناء الواقفة بجانبنا الكثير من جمالها ..

أعطى الصورة لـ (ديمترى) ، وأسأل الأب :

ــ هل أخبراكما بأى شىء غير مألوف ؟ أو أى عبارة غير منطقية أو تدل على شىء غير عادى ؟

ينظر الأب للأم لكنها تهز رأسها نفيًا .. يقول :

ــ لا ..

أقول متفرسًا فى ملامحهما :

ــ هل لاحظتما أى شىء خطأ ؟ هل كانا نائمين بشكل طبيعى أم كانا مخدّرين أم ...

قاطعنى الأب بدهشة شديدة :

ــ مخدّرين ؟ هل تعتقد أنّ هذا حصل بفعل فاعل ؟

ينظر إلى (منذر) وكأنه يحاول أن يعرف ما الذى يدور برأسى ، بينما تثاءب (ديمترى) ولم يعلّق ..

تنحنحت وقلت :

ــ يجب أن نطرح كل الاحتمالات .. هذا ما نعرفه فى المخابرات العلمية مع ما نراه من ألغاز عجيبة كلّ يوم فى هذا العالم .. ربما تم اختطافهما ..

يصمت ويفكّر قليلاً ، ثم يقول وقد بدا الذعر والفزع مضاعفًا بدرجات على وجه الزوجة :

ــ كلا ، لا شىء غير عادى .. كنا فى الخارج ورجعنا وجلسنا قليلاً ، وكان (رضا) و(على) نائمين ، ولما أيقظناهما رأينا الشىء الغريب الذى أصابهما ، والذى أدهشهما وأذهلهما وأثار ذعرهما جدًا ، فهذا حصل أثناء نومهما .. قبل النوم لم يكن هناك شىء ، أبدًا ..

نصمت جميعًا ، قبل أن يأخذ (ديمترى) نفسًا عميقًا ، ويتجه إلى باب الغرفة قائلاً :

ــ حسنًا ، سأدخل لأقوم بما أجيد القيام به ..

ودخل الغرفة بينما نظرت أنا و(منذر) إليه ..

أدير عينى للأبوين :

ــ بعد إذنكما ، لا بدّ أن نراهما ..

يشير بيده ويتجه مع زوجته لمقعد بعيد كى يجلسا عليه ، بينما أنا نظرت إلى (منذر) من جديد ، واتجهنا نحو الباب ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فتحنا الباب ودخلنا ..

ومنعت ــ بصعوبة بالغة ــ صرخة كادت تنطلق من حلقى !

رباه !

ما هذا بالضبط ؟!

* * *

3 ــ الصدمة ..

أعلم أن ملامحى تفضحنى ، غالبًا ..

لكننى ــ وأيضًا بصعوبة بالغة ــ منعت أن يظهر شىء من أثر الصدمة على وجهى وملامحى ..

ما هذا ؟

الطفلان التوأمان ، الجميلان ، الوسيمان ، اللذان فى الصورة الفوتوغرافية التى أعطانى إياها الأب ، ليس لهما علاقة بهذين الرجلين الصغيرين الجالسين أمامى !

ــ الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به غيرنا ..

أقول هذه الكلمات فى سرى وأنا أنظر إليهما ، مع (منذر) الذى أكاد أقسم أنه مر بانفعالى نفسه .. هذا ما أراه منعكسًا على ملامحه ووجهه أيضًا ..

الطفلان لم يعودا طفلين ..

صارت ملامحهما ملامح رجل فى الثلاثينيات ، رجل بالغ ، وهناك شيب فى الرأس ، وهناك لحية خفيفة أيضًا ، وهناك كم مبالغ فيه من التجاعيد وكأنهما يرتديان أقنعة غريبة عجيبة ، من أجل حفلة هالوين فى وقت غير مناسب !

Looloo
www.looloolibrary.com

ما أراه أمامى نسخة أخرى مذعورة منهما ، أكبر عمرًا بعشرين سنة على الأقل .. من قال إنهما أكبر بعشر سنوات ؟ هذه ملامح كبيرة حقًا ، ولا يمكن أن هذا حدث خلال عدة ساعات !

هناك سر كبير ، وهناك لغز يجب حلّه ..

يجلس (ديمترى) أمامهما ويخرج من حقيبته شيئًا أشبه بسوارين إلكترونيين ، يجعل كلاً منهما يرتدى واحدًا فى يده ..

ــ ما هذا يا (ديمترى) ؟

أسأله مشيرًا للسّوارين .. ينظر لى نظرة سريعة ثم يجيب :

ــ إنها أداة فحص خاصة ، تتيح لى معرفة كافة العلامات الحيوية فى الجسم بلا استثناء .. معها أنا لست بحاجة لإجراء أى فحوص أخرى ، هذه تعطينى نظرة شاملة على الدم والأجزاء الداخلية فى الجسم والضغط وكل شىء .. هناك تفاصيل كثيرة ، المهم أنها تفيدنا جدًا ..

أبتسم ..

إنه (ديمترى) وهذا يكفى !

أجذب مقعدًا وأجلس أمامهما ، وأنظر إليهما بطريقة تبعث الاطمئنان .. ينظران لى وقد ظهر الرعب على ملامحهما ، وأقول :

ــ كيف حالكما اليوم ؟

لا يجيبان ، فأقترب منهما أكثر قليلاً ، وأقول مبتسمًا :

ــ لا تخافا منّا .. نحن هنا لمساعدتكما ، وقد وقفنا قليلاً فى الخارج مع بابا وماما ، ونحن نحبّكما كما هما يحبّانكما ، وقد وثقا فينا لندخل هنا ونتكلّم معكما قليلاً .. هل هذا واضح ؟

يهزان رأسيهما معًا ، وأحافظ على ابتسامتى .. هنــاك مسحة من الارتياح علت وجهيهما ..

يجلس (منذر) ، بينما بنفس الوقت دخل (همام) إلى الغرفة ، وأغلق خلفه الباب وجلس ..

ــ من منكما (رضا) ؟

يبتسم الطفل الذى على يمينى ويقول :

ــ أنا ..

أقول :

ــ أخبرنى يا (رضا) ، ما الذى حدث ؟

يقول (رضا) بعد أن تبادل نظرة مع شقيقه (على) :

ــ أعرف أن أبى وأمى غادرا البيت وتركانا هناك كما يفعلان عادة ما لم يكن أمرًا عائليًا يستدعى أن نخرج كلنا .. أغلقا الباب وغادرا بينما لعبنا نحن قليلاً ، عندنا (بلايستيشن) أحضره لنا خالى معه من (أمريكا) قبل سنة .. بعدها شعرنا بالنعس ونمنا ..

يقول (على) :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لا أعــرف كم ســاعة نمنا ، ولكننا استيقظنا على صراخ والدتى وشهقات والدى .. نظرنا إليهما وصرخنا فقد تخيلنا أن البيت يحترق أو أن هناك لصًا فى البيت ، ولكنهما كانا ينظران إلينا ويصرخان معًا .. فصرخنا معهما ! وهكذا عرفنا ما حدث وجئنا إلى المستشفى ..

أهز رأسى :

ــ جميل .. جميل ..

يتابع (ديمترى) ما يراه من بيانات وأرقام تظهر أمامه على شاشة صغيرة بين أصابع يده اليمنى ، و(همام) يصغى فى اهتمام ، بينما ينهض (منذر) ويقترب منهما :

ــ من غير المعقول أن يحصل كل هذا دون سبب منطقى .. لا بدّ أن هناك شيئًا نسيتماه ، أو لم تشعرا أن له أهمية يتوجب عليكما بسببها أن تقولا عنه .. حاولا أن تتذكرا كل شىء .. هل حصل معكما شىء غير عادى اليوم صباحًا ؟ أمس ؟ أول أمس ؟ أو فى الأيام الماضية بشكل عام ؟

يتبادلان بعض النظرات ، ويقول (على) :

ــ كلا ، لا شىء مهمًا ..

يبدو على وجه (رضا) تعبير وكأن هناك شيئًا ما يرغب بقوله ، فأحثه قائلاً :

ــ قل ما تريد يا (رضا) .. لن نسخر منك بالتأكيد ..

يبتسم ، ويقول :

ــ هناك شىء غريب أحسست به اليوم !

* * *

أتبادل نظرة سريعة مع (منذر) وأقول :

ــ وما هو ؟

يقول وقد بدت علامات التذكّر على وجهه :

ــ عندما أيقظتنى أمى ومعها أبى من النوم ، وكنا على هذه الحالة الغريبة ، شعرت وكأننى مرهق جدًا .. أحسست بإرهاق وتعب لم أشعر به فى حياتى ، وكأننى كنت أركض بين مدينة ومدينة أخرى !

أتساءل :

ــ إرهاق شديد ؟

يؤمّن (على) على كلام شقيقه قائلاً :

ــ نعم ، صحيح فعلاً يا (رضا) .. كان هناك شىء غريب جدًا فى هذا التعب ، وكأننا كنا نركض ، أو نتسلق جبلاً .. لا أعرف ولكنه بدا لى تعبًا غير عادى .. صحيح ..

أتراجع بمقعدى وأنا أنظر إليهما ..

طفلان توءمان ، جميلان ، غاب عنهما الأب والأم عدة ساعات وجاءا ليجداهما قد شاخا فجأة ، وكبرت ملامحهما دون أى سبب منطقى ، ودون أى عوامل خارجية ، طبيعية أو بشرية .. وعندما استيقظ الطفلان من النوم الذى أثناءه حدث هذا التقدم المباغت فى السن ، شعرا بإرهاق شديد وكأنّهما كانا يركضان مسافات طويلة جدًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فجأة قال (ديمترى) :

ــ كما توقعت ..

التفتنا إليه بكل حواسنا ، أنا والطفلان و(منذر) و(همام) أيضًا ، وسأله هذا الأخير بلهفة :

ــ ماذا هناك ؟

يشير إلى (رضا) و(على) :

ــ الطفلان ..

يتابعان شفتيه بقلق ، ويسأله (منذر) بتوجّس :

ــ ما بهما ؟

يقول فى خطورة وكأنه يلقى سرًا ، ناظرًا مرة أخرى إلى الشاشة باهتمام شديد :

ــ بعد أن فحصت العلامات الحيوية فى جسميهما ، أيقنت أن الأمر ليس له علاقة بالوجه فقط .. لم تكبر ملامحهما فقط ! بل كل شىء فيهما ! عمر جسديهما الآن يقارب عمر شاب فى الثامنة والعشرين من العمر تقريبًا !

ساد صمت ، وكلنا ننظر فى وجوه بعضنا نحاول أن نستوعب الذى قاله ..

أقول بعد برهة :

ــ لكنّ هذا لا يفسّر الشيب !

ــ نعم ، ولا يفسّر التجاعيد الكثيرة هذه أيضًا ، ولكنّنى أخبركم ما تقوله لى الأرقام فقط ..

أنهض وأدور فى الغرفة حول نفسى وجميعهم يتابعوننى بعيونهم ، قبل أن أقول للطفلين :

ــ هل اختلف نشاطكما عما قبل ؟

يقول (رضا) :

ــ ليس كثيرًا ..

أقترب منهما وأمد يداى إليهما :

ــ انهضا ..

يمسك كلّ منهما بيد وينهضان ، أنظر إليهما وأقول مفسحًا لهما بعض المجال ، ناظرًا إلى (منذر) و(همام) ليفعلا مثلى :

ــ امشيا قليلاً فى الغرفة .. فى دوائر ، حول بعضكما ، وفى خط مستقيم أيضًا ..

نظرت إلى (ديمترى) :

ــ .. راقب وأخبرنى ، هل مشيهما طبيعى ؟

أخذ الطفلان يمشيان ، ثم فعلاً : دار كل منهما حول الآخر ، ثم مشيا فى طريق مستقيم ، ثم ركض كلّ منهما فى اتّجاه الآخر ، قبل أن يصرخ (ديمترى) فجأة بصوت مذعور :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ توقفا .. توقفا ..

توقفا على الفور وهما ينظران إليه فى دهشة ، كانت مشتركة بيننا كلنا ونحن ننظر إليه ..

ما بك يا (ديمترى) ؟

اندفع خارج الغرفة وهو يقول بصوت مرتجف :

ــ اتبعانى ، بسرعة ..

تبعناه دون تردّد ، أنا و(منذر) ، بينما بقى (همّام) مع الطفلين .. توقفنا جانبًا وسألناه بلهفة وقلق :

ــ ماذا هناك يا (ديمترى) ؟

يقول بثقة :

ــ ربّما لم تنتبها ، ولكنّنى تأكدّت ..

أهتف به :

ــ ماذا هناك ؟

قال :

ــ هذان طفلان ليس لهما أى ظلال !

* * *

4 ــ الظـــــلال ..

لثوانٍ ، نظرنا إليه بغباء دون أن نفهم شيئًا ..

ــ لم أفهم ..

أقولها متوقعًا منه أن يقتلنى فورًا ، لكنه لم يفعل ، بل اقترب من وجهى وهمس :

ــ ليس لهما ظلال يا (سامر) .. ضوء الغرفة يغمر الكل ، وظلّك على الحائط خلفك ، وهكذا (منذر) أيضًا ، و(همام) الذى يقف ويراقب الطفلين وهما يلعبان .. لكنّهما بدون ظلال ! يتحركان ويلعبان ويروحان ويجيئان دون أن يتركا أى ظلال على الأرض !

يسأله (منذر) وهو يحدّق بعينيه :

ــ هل أنت متأكد ؟

ينظر فى عيوننا قليلاً ، ويتجه إلى الغرفة مجددًا دون كلمة واحدة ، وتبعناه فورًا ، بعد أن أشرت بيدى للأم والأب اللذين اقتربا منا ألا يقتربا وأن يظلا بعيدين نوعًا ، وأن يعودا لمكانهما ..

دخلنا وأغلقنا الباب خلفنا ، وكل لهفة وأسئلة الدنيا تتفجر من عينى الطفلين ، بينما عاجلنا (همّام) :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ماذا هناك ؟

لم نجبه بل طلبنا من الطفلين أن ينهضا ويمشيا مجدّدًا أمامنا .. فنهضا ، ولم نر أى ظلال لهما فعلاً !

ظلى خلفى ، و(منذر) يتبعه ظله خلفه كما هو طبيعى وكما تقول كل كتب وعلوم وأخبار ونظريات الفيزياء والضوء فى العالم كله .. إلا هما !

يدور الطفلان ويمشيان دون أى ظلال !

يعرف (همام) بالأمر من نظراتنا ، وينتقل إليه الذهول ..

نبقى هكذا بعض الوقت ، قبل أن يندفع (ديمترى) خارج الغرفة مجددًا ..

رباه ! صار هذا مملاً !

نتبعه أنا و(منذر) فحسب ، ونغلق الباب خلفنا لنجد (ديمترى) يدور حول نفسه ويقول لـ (منذر) فى جدية :

ــ اتصل مع المخابرات العامة والعلمية ، ومع الجيش .. أخبرهم أن يبحثوا قدر استطاعتهم عن أية حالات مسجلة تاريخيًا لأشخاص اختفت ظلالهم .. يجب أن نعرف أكثر عن هذا الأمر الذى يتحدّى الفيزياء ..

ثم نظر لى وأردف :

ــ .. سأتباحث قليلاً الآن مع (فابيو) حول الموضوع ، لا شكّ أن عنده وجهة نظر جديدة أو رؤية لا نتوقعها تجاه هذا الأمر ، وأعرف أنه سيفيدنى حتمًا .. بينما أنت يا (سامر) لا أدرى ما أقول لك ، لو أنّ هناك حاسوبًا محمولاً معك لتبحث عن الأمر بطريقتك الخاصة ..

أبتسم وأقول له :

ــ لا تقلق ..

يخرج (همام) من الغرفة ويشير للأبوين أن يقتربا ، يلتفت نحوه (ديمترى) بسرعة ويقول :

ــ مهمتك يا (همام) تتلخص حول البحث فى كل المراجع الطبية المتخصصة فى أمراض الجلد ، وأن تكلّم كل طبيب تعرفه حول هذه المسألة .. الآن .. سنحاول معرفة كل شىء بنفس الوقت ، سبب الشيخوخة المبكرة ، واختفاء الظلّ ..

يصل الأب والأم ، يقترب منهما (ديمترى) بسرعة وبطريقة أزعجتهما نوعًا ما ، ويصدمهما :

ــ يجب أن تكونا على علم بما يحدث .. (رضا) و(على) مصابان بشيخوخة غريبة غير عادية ، وهذه حالة لم أر لها مثيلاً فى حياتى من قبل .. هذا ليس مرضًا جلديًا ولا إصابة بسبب غاز أو أى شىء مماثل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

هذه شيخوخة حقيقية أصابت الوجه والملامح والجسد كله .. كلّ واحد من طفليكما الآن له جسد شاب فى الثامنة والعشرين من عمره ، من الداخل طبعًا ، لكن من الخارج ما زالا شبه طفلين !

يقول الأب وقد بدا عليه الاستغراب والذهول :

ــ ما هذا الذى تقوله ؟

يتابع (ديمترى) وكأنه لم يسمعه :

ــ .. وليس هذا فحسب ، بل إن هناك أمرًا عجيبًا آخر : الولدان ليس لهما أى ظلّ ! إنهما يتحركان ويمشيان دون أن يتركا أثرًا على الأرض كظلّ أو ما شابه !

يحدّقان فيه ببلاهة ، دون أى تعليق ، مما يؤكد أنهما فى حالة عدم تصديق ، مع ذهول ، مع تعجب هائل ..

بصراحة : فليعينهما الله !

أقترب منهما وأقول :

ــ ما يريد أن يقوله الأستاذ هنا لكما ؛ إن هذه الأشياء تدلّ أن الأمر حصل بفعل فاعل .. ما هو الأمر ؟ وما طريقته ؟ وما هدفه ؟ لا نعرف .. لكن هناك فاعلاً حتمًا .. لن يكبر طفلان بغضون عدة ساعات ، ولن تختفى ظلالهما ، دون تفسير منطقى .. أرجو أن تتذكرا أى شىء قد يساعدنا ، أى شىء مشكوك فيه ، أى غرباء طرقوا باب البيت ، أى نشاطات غير

مألوفة فى المنطقة ، رسائل ، أصدقاء جدد ، جيران مزعجين ، تصرفات مثيرة للشك ، أى شىء قد يساعدنا .. من أجل طفليكما أولاً ، حاولا أن تتذكّرا أرجوكما ..

قلت هذا ولمحت بريقًا سرعان ما خبا فى عين الأم ، فأسرعت بالقول فورًا :

ــ لا تتردّدى أرجوك يا سيدتى ، قولى أى شىء ، قولى كلّ شىء ..

نظرت إلى بعينيها المنتفختين وقالت :

ــ الحقيقــة ، هنــاك أمران ، لا أدرى إن كان لهما أية أهمية ، ولكن أشعر أن على قولهما ، فقــط من باب قطع الشــك باليقين ، ولأنّ أى دليل قد يفيدكم ..

يربت زوجها على كتفها فى محاولة منه لطمأنتها ، بينما اقترب منا (منذر) أكثر ، وقال (ديمترى) بعد أن تثاءب :

ــ وما هما ؟

رفعت إبهام يدها اليمنى وقالت :

ــ الأمر الأول : لعبة قام (رضا) و(على) بإخبارى عنها قبل عدّة أيام .. لعبــة قاموا باللعب عليها مباشرة على الإنترنت ، وهى لا تعمل إلا هكذا .. لا يمكن تحميلها على الحاسوب مثلاً ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أعقد حاجبى باستغراب ، وأسأل :

ــ وما الغريب ؟

ــ الغريب أنّ من شروط اللعبة ألاّ يلعبها إلا التوائم ، صغار السنّ ، ويجب أن تكون هناك كاميرا !

* * *

تغمرنى الدهشة ..

لعبة يلعبها التوائم ؟

ويجب أن يكونا صغيرين فى السن ؟

ويجب أن يكون هناك كاميرا ؟ لماذا ؟ للتأكد من صحة الشرطين السابقين مثلاً ؟

يصفر (منذر) بفمه ، بينما يقول (ديمترى) :

ــ يا سلام ! ومتى لعبا فيها أول مرة ؟

تمرر يدها اليمنى على شعرها الأشقر وتجيب :

ــ قبل أربعة أيام ..

أسألها وأنا أحاول جمع كل الخيوط برأسى :

ــ وما الأمر الآخر ؟

قالت بشكّ :

ــ لست متأكدّة تمامًا ، ولكن أدرى أنّ شكلها أصبح مألوفًا لى نوعًا ما ، بعد أن تكرّرت رؤيتى لها عدّة مرات ..

أسأل بسرعة وقد تسارعت نبضات قلبى :

ــ من هى ؟

تجيبنى :

ــ بل قل : ما هى ؟ إنها مرسيدس خضراء ، رأيتها تدور فى المنطقة حولنا منذ أربعة أيام ، أيضًا !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

5 ـ تحقيقات ..

اتجهت إلى التاكسى الذى ينتظرنى فى موقف المستشفى ، وأحضرت منه حاسوبى المحمول ..

اتصلت مع (ديالا) ، وأخبرتها أننى سأتأخر أكثر ، وعليها أن تنام ، فلن أعود قبل عدة ساعات ، وأخبرتها أننا سنذهب غدًا ــ إن شاء الله ــ فى رحلة كما وعدت (كريم) ..

كنت أعرف أنه فى نفس الوقت ، اتصل (منذر) مع القسم التقنى وأخبرهم بما أخبره (ديمترى) أن يخبرهم .. وكنت أعرف أن (ديمترى) نفسه الآن فى حوار طويل سريع وعميق وروحى مع (فابيو) ، والذى يحادثه ويتصل معه عبر شريحة فى رأسه !

أتجه إليهم ؛ (ديمترى) و(منذر) والجميع ، وأنا أفكر ..

لعبة خاصة بالتوائم الصغار ، بدأ الطفلان اللعب فيها قبل أربعة أيام ..

وهناك مرسيدس خضراء ، أيضًا منذ أربعة أيام بالضبط ، تتجوّل فى نفس المكان الذى حدث فيه ما حدث للطفلين !

ما العلاقة ؟

هل هناك علاقة ــ أصلاً ــ بين المرسيدس الخضراء ، وموقع الألعاب الإلكترونى هذا ؟

على الأغلب ؛ يوجد ..

لا يوجد مصادفات إلى هذا الحدّ فى هذا العالم الغريب الذى نعيش فيه .. حتمًا هناك رابط ما بين المرسيدس والموقع ، وعلى أن أكتشفه ..

أصل هناك ، (ديمترى) جالس على مقعد بعيد وعيناه مغمضتان ، هو متصل مع (فابيو) إذًا .. (منذر) يتكلم مع (همام) وقد جلسا على مقعدين بعيدين نوعًا ما عن الغرفة ، التى تجلس فيها العائلة التعيسة ، عائلة (رضا) و(على) ..

أتبادل نظرة مع (منذر) ثم أدخل الغرفة ، يرفع الكل عيونهم نحوى فأحييهم بابتسامة ، أقترب من الطفلين وأجلس بجانبهما ..

أقول وعينا الأم والأب على وبتركيز شديد :

ــ أخبرتنى أمكما عن الموقع الإلكترونى الذى دخلتما عليه قبل عدة أيام أيام ..

يتساءل (رضا) :

ــ أى موقع ؟

ــ الألعاب .. اللعبة الجديدة بالذات ..

ــ نعم ، هل هناك شىء بخصوصه ؟

أفتح حاسوبى المحمول ويصدر الصوت المميز للتشغيل ، وأجيبه :

ــ قالت إن من شروطه أن يدخله التوائم صغار السن ، وأن اللعبة

Looloo
www.looloolibrary.com

لا تعمل إلا بعد التأكد بالكاميرا أنّ هناك طفلين صغيرين وتوءمين فعلاً .. هل هذا صحيح ؟

قال (على) :

ــ نعم ، صحيح .. وأجبنا على الأسئلة التى تم سؤالنا إياها قبل اللعبة ، قبل أن نستطيع اللعب بها ..

ــ هل اللعبة جميلة ؟

ــ جدًا ..

أفكر قليلاً ، قبل أن أناوله الحاسوب ، وأقول له :

ــ افتح الموقع ودعنى أرى إن كنت أستطيع أن أفهم شيئًا ..

يضغط على أزرار لوحة المفاتيح قليلاً ، وعينا (رضا) وعيوننا جميعًا تتابعه ، قبل أن يرفع الحاسوب ويعطينى إياه قائلاً :

ــ تفضل ، ها هو ..

أمسك الحاسوب وأرى الموقع ..

الموقع ــ كما هو واضح ــ مميز بتصميم احترافى جميل ، جذاب للأطفال طبعًا ، واللعبة استراتيجية شبيهة بتلك الألعاب التى يلعبها الملايين حول العالم ، والتى لا بدّ أن يتم لعبها مباشرة عبر الإنترنت مع مستخدمين آخرين .. الغريب أن الموقع كان باللغة العربية ، وكان يقول ببساطة إنه لا يوجد شراء لأى رصيد أو نقاط مثلاً ، كل شىء فى اللعبة ممكن أن تشتريه عن طريق كلمات السر المجانية فقط لا غير !

غريب فعلاً .. كيف يربح صاحب الموقع إذًا ؟

حتى إعلانات أدسنس ــ وما شابهها من شركات للربح من الإنترنت ــ التى يربح منها بعض أصحاب المواقع الإلكترونية عن طريق وضع بانرات الإعلانات فى مواقعهم ، والتى قد يضغط عليها الزوار مما يجعلهم يحققون الأرباح ؛ غير موجودة ! لا شىء موجـود من أجل هـذا ! لا توجد أى وسيلة للربح من الموقع أو الزوار ، وأنا بالنسبة لى أعرف الكثير عن هذه الأمور ..

موقع ألعاب احترافى مجانى تمامًا ؟

هذا شىء جديد ، ومثير للشك بصراحة ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟

أضغط على زر التسجيل فى الموقع ، لتظهر لى رسالة تقول :

■ يرجى منكما الجلوس بجانب بعضكما أولاً ■

يا سلام ! هو يفترض تلقائيًا أن لى شقيقًا توءمًا ، وأننا يجب أن نلتقط صورة لنا معًا ..

أقوم بتصغير نافذة الموقع ، قبل أن أفتح الكاميرا فى جهازى ، وألتقط صورتين متتاليتين لنفسى .. بعدها فتحت برنامج الفوتوشوب الذى لا أستغنى عنه ، وأحب استعماله كثيرًا ، وقمت بعمل بعض التعديلات والتغييرات على الصورتين ، والتى ستجعلنى أبدو صغيرًا فى السن ، ومختلفًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

بعدها نسخت الصورة الثانية على الصورة الأولى ، وببعض الحيل التى تعلمتها من يوتيوب ، قمت بعمل صورة أبدو فيها وكأننى أجلس بجانب شقيق توءم لى ، صغير السن مثلى ، يختلف عنى ببعض الأشياء فحسب !

كل هذا فى أقل من نصف ساعة ، وأفراد العائلة ينظرون إلى ، محاولين فهم ما يحدث ..

أنهيت ما أقوم به ، ثم ضغطت الزر الذى يجعلنى أطبع الصورة التى أريدها من الطابعة الملحقة بجهازى مباشرة ..

نعم ، جهازى مزود بآلة طابعة ملونة ، عالية الدقة ، من تطويرى طبعًا ، تأتى بحجم الحاسوب المحمول من الأسفل ، وكأنها قطعة إضافية مسطحة للحماية مثلاً ..

نظر الجميع فى دهشة ، للورقة الملونة التى ظهرت بغتة من أسفل الحاسوب ، والتى عندما مددت يدى لأتناولها لاحظ الجميع أننى فيها مع شقيقى التوءم الوهمى ، صغير السن !

قال الأب وقد ابتسم بطريقة لا تناسب الموقف :

ــ هل قمت بصناعتها الآن ؟ بهذه السرعة ؟

أبتسم وأجيب وأنا أنظر للصورة :

ــ نعم ، سأحاول خداع الموقع لأراه بنفسى من الداخل ، من الخطوات الأولى للتسجيل .. (رضا) و(على) مسجلان فى الموقع من الأصل ، ولا أعرف ما الذى سنخسره لو دخلنا الموقع عن طريق حساباتهما .. لا أريد أن أغامر بشىء .. سأخدع الموقع لأريه أن لى شقيقًا توءمًا ، وهكذا سأرى الأمر من البداية ..

تقول الأم باستغراب :

ــ هل تظن حقًا أن شيئًا ما ، أو شخص ما ، له علاقة بهذا الموقع ؛ هو الذى فعل هذا بطفلى ؟

أقلب كفى وأنا أقول :

ــ لا أدرى حقًا يا مدام .. لكن علينا ألا نهمل شيئًا .. دخل ولداك الموقع من أربعة أيام ، وابتداءً من أربعة أيام أيضًا ؛ هناك سيارة خضراء تحوم فى المكان .. الأمر لا يبدو صدفة ، أليس كذلك ؟

تهز رأسها إيجابًا ، ويقول الأب :

ــ فعلاً ، لم نعر هذا الأمر اهتمامًا ..

أبتعد قليلاً عن الكاميرا ، وأضع الصورة أمامها ، وأضغط على زر التقاط الصورة فى اللعبة ، بعد أن فتحتها مرة أخرى ..

■ مبروك ! تم قبولكما فى اللعبة ■

جميل .. هذا ما كنت أنتظره ..

لقد أفلح ما كنت أفكر فيه ، ومرت الخدعة على خير .. سأرى الآن إن كان هناك شىء مريب ..

تفتح لى صفحة التسجيل ، وأنا أنظر للأب وعلى وجهى علامات الانتصار ، فابتسم مشجعًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أنظر لخيارات التسجيل ، وأعقد حاجبى !

ــ ما هذا بالضبط ؟

بعد أن يطلب الموقع من الزائرين التوءمين أن يدخلا اسميهما وبعض المعلومات العمرية والشخصية والشكلية ، تبدأ الأشياء الغريبة : هناك تلك الأسئلة التى تطلب أرقامًا لهواتف البيت ، وعنوان ورقم البيت بالتفصيل ، مع رقم الشارع ، وهناك تلك الإضافة فى النهاية ، والتى تطلب عنوان البيت ، عن طريق الاستعانة بخرائط جوجل .. طبعًا يتم تحديد موقع البيت عن طريق هذه الخرائط بضغطة زر !

ممتاز ..

الأمر مثير للشك فعلاً ..

أشير للأب أن يقترب ، ينهض قبل أن يجلس بجانبى ، يقرأ ما قرأت ، ويستغرب مثلى وأكثر ..

أقول للطفلين :

ــ ألم تستغربا من كل هذه الأسئلة فى التسجيل ؟ عنوان البيت ورقم الشارع وخرائط جوجل ؟

يقول (على) فى براءة :

ــ لماذا ، إنها مجرد أسئلة روتينية .. الكثير من المواقع الإلكترونية تسأل عن هذه الأمور الآن ..

أهز رأسى دون أن أعلق .. تمر لحظات من الصمت ، قبل أن أستأذن منهم ، وأخرج ..

فى الخارج (منذر) و(ديمترى) و(همام) ، يجلسون معًا ، وعدلوا جميعًا طريقة جلستهم لما خرجت ، كانوا ينتظروننى ..

ــ ما الجديد يا (سامر) ؟

ــ الكثير ..

أقولها وأجلس بجانبهم ، وأقول لهم كل شىء ، وهم يستمعون حينًا ، ويسألون حينًا ، ويستغربون حينًا ..

يرفع (همام) رأسه وينظر للسقف ، ويقول :

ــ هذه قضية مزعجة جدًا .. أشعر أن رأسى يؤلمنى للغاية ..

يقول له (منذر) :

ــ ما شعور الوالدين الآن إذًا ؟ لا شك أنهما سيصابان بالجنون من كل هذه الألغاز والمفاجآت ..

أقول موجهًا كلامى إلى (ديمترى) :

ــ (فابيو) ..

ــ ما به ؟

ــ هل من جديد عنده ؟ هل سيساعدنا بشىء ؟

يبتسم ويقول :

ــ طبعًا .. (فابيو) بعد قليل ؛ سيحضر لنا صور الأقمار الصناعية التى طلبتها منه ، منذ أربعة أيام وحتى اليوم .. الصور التى تظهر فيها مرسيدس خضراء طبعًا .. هذا هو المهم ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يقول (منذر) :

ــ استفسرت من عدة جهات عن أمر اختفاء الظلال .. كل الذين قمت بسؤالهم سخروا منى واعتقـدوا أنى أتهكم أو أستهزئ ، يبـدو أن هذا الطراز من القضايا الغريبة ومتعلقاتها من أسئلة واستفسارات لن تتقبله الجهات الأخرى بسهولة ، سنعانى قليلاً فى البداية بلا شك ..

يهز (همام) رأسه موافقًا ، ويسود بعض الصمت ..

أسأل (ديمترى) :

ــ كم من الوقت أمامنا حتى يخبرنا (فابيو) بما لديه ، وحتى يبعث الصور لك ؟

يتثاءب ويقول :

ــ لا أدرى ، ربما ساعة أو ساعتين ..

أنهض من مكانى مستغربًا :

ــ ساعتين ؟ إنها بعض الصور يا رجل .. هذا كثير ..

ــ لا تنس أن صور الأقمار الصناعية من السماء ، أى أنها عامودية ، و(فابيو) سيقوم بعمل محاكاة خاصة لرؤية المشاهد التى تظهر فيها السيارة الخضراء من زاوية ثلاثية الأبعاد .. حتى نرى أى شىء يمكننا الاستفادة منه ، رقم السيارة ، مواصفاتها ، علامات فارقة ، وجه السائق إن حالفنا الحظ ، وهذا كله خلال ساعة أو ساعتين .. أرجو ألا تطول الفترة أكثر ..

ثم صمت قليلاً وأردف :

ــ .. لماذا ؟ هل عندك شىء سيد (سامر) ؟

ــ طبعًا ، عندى أشياء ..

ــ وأنا أيضًا ..

قالها ونظر لى نظرة خاصة ، هى نفس النظرة التى أرمق (ديالا) بها أحيانًا ، عندما تأتى فكرة اختراع عاجل فى رأسى ..

أنا ، لدى فكرة ..

و(ديمترى) كذلك ، برأسه نفس الأمر : هناك فكرة خطرت على باله وسيعمل على تنفيذها ..

نبتسم أنا وهو ، ونضرب كفًا بكف فى مرح ، أمام عيون (منذر) و(همام) ، اللذين لم يعلقا سوى بنظرات الدهشة الشديدة ، التى تصرخ بوضوح وقوة : ما بالهما هذين المجنونين ؟

يقول (ديمترى) :

ــ حسنًا ، اذهب وافعل ما تريد ، ولكن حاول أن ترجع خلال ساعتين أو ثلاث ساعات ، وقتها سيكون (فابيو) قد أرسل لى الصور والمعلومات التى نريدها ، وأنا سأذهب لأطور شيئًا أعمل عليه منذ أيام ، أفضل من جلوسى هنا دون أية فائدة حقيقية ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أسأله فجأة مغيرًا دفة الحوار تمامًا ودون سبب منطقى :

ــ (ديمترى) .. ما بال بومتك ؟

يزفر ، ويتبادل نظرة ذات مغزى مع (منذر) ، قبل أن يقول بعد أن تثاءب :

ــ لا شىء حقًا .. إنها بأحسن حال ..

أغمغم بشكّ :

ــ لماذا قلت إنها مريضة ؟

يتنهّد ، ينظر إلينا ثم ينظر للأرض ويقول بنبرة منخفضة :

ــ إحم .. نصحنى البعض ــ بصراحة ــ ألا أجلبها معى خارج البيت كعادتى ، وألا أحملها على كتفى .. قال : إن هذا أشبه بتطوير سخيف لأنثى الغراب (ياسمينة) التى تجلس دومًا على كتف (سندباد) فى مسلسل كارتون الأطفال ، حتى لو كان هذا بقصدى أو لم أشاهد حلقة من المسلسل .. وقال : إن ممارستى لهذا الأمر ستجعل البعض لا يأخذنى بجدية كافية ، مهما حاولت شرح الأمر للجميع ، وكيف أن علاقتى بهذه البومة تمتد لسنوات طويلة ..

من طريقة نظرته إلى (منذر) ؛ عرفت أن (منذر) من نصحه هذه النصيحة الذهبية فعلاً .. شكل البومة وهى على كتفه غير جميل ، وغير مؤثر ولا جذاب ، ولن يفهم أحد العلاقة بينهما حتى لو شرح له ، فلتكن من أعز رفاقه ، فلتكن حبيبته فعلاً ! المهم أن يبقيها خارج البيت ،

ولا يراها سوانا .. أفضل من التجول بها فى كل مكان يذهب إليه ..

أعجبنى (منذر) جدًا بهذه النصيحة .. شكرًا له ، من أجلنا ، ومن أجل (ديمترى) ، وحفاظًا على سمعة المخابرات العلمية التى نريد أن يأخذها الآخرون بجديّة ..

يسأل (منذر) :

ــ وماذا سأفعل هنا إذًا فى غيابكما ؟

يجيبه (ديمترى) :

ــ أنت حر .. اجلس هنا وأكمل ثرثرتك مع (همام) ، لا شك أنها حول أمور مهمة جدًا ، أو انهض وتكلم مع (هيام) فى أى مكان تريده ، أو اذهب للدائرة وقم بعمل مفيد !

يحمرّ وجه (منذر) ويبتسم (همام) ، بينما لم أستطع أنا أن أمسك نفسى ، فضحكت بقوّة ..

قلت :

ــ حسنًا ، أراكم بعد قليل ..

يتبعنى (ديمترى) :

ــ أوصلنى فى طريقك لشقّتى ..

أهز برأسى أن نعم ، وننزل معًا حتى نصل السيارة ، وننطلق بها دون أن نتحدث ، إلا عندما وصلنا قرب شقته ، التفت إلى وقال :

ــ شكرًا على التوصيلة ، ولكن ؛ ماذا ستفعل الآن ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ دع الأفكار تأخذ مجراها فى رأسى أولاً ، وسترى كل شىء بعد عدة ساعات ، أرجو أن أكون موفقًا ..

يقول :

ــ حسنًا ، وتمنى لى التوفيق كذلك ، أعمل على صناعة سلاح خاص ، بمواصفات جديدة سترق لك ، أتعلم ؟ إذا أنهيت عمله خلال هذه الساعات سأحضره إلى المستشفى لتعطينى رأيك به ..

ــ حسنًا ..

يودعنى ويذهب ، وأنطلق أنا بالسيارة للمنزل ورأسى يعصف ويزدحم بالأفكار ..

ما الذى يمكننى أن أفعله ؟

ما الذى يمكننى أن أضيفه ؟

سيعمل (ديمترى) على سلاح الآن ، ولا شك أنه سيكون من طراز مميز ويعمل بطريقة لا يمكننى تخيلها الآن .. و(مندر) ربما مع (هيام) الآن على الهاتف ، و(همام) يتابع مريضاً جديداً أو يواسى الوالدين ..

لكن ؛ الطفلان ..

الطفلان هما اللذان سأخترع شيئًا من أجلهما ، وسأجربه عليهما قبل أى أحد .. ولا بد أن يكون هذا الشىء مصدرًا لمعلومة جديدة ، لم يخبرانى إياها ..

ماذا سأفعل ؟ ما الذى سأصنعه ؟

لا أعرف بعد !

* * *

6 ــ المفاجـأة ..

أجلس فى البيت قليلاً مع (ديالا) و (كريم) ، قبل أن أدخل إلى مكتبى ، موصيًا ملكتى الحبيبة أن تحضر لى صحنًا من المعكرونة (الفيتوتشينى) بعد انتهائها من تحضيرها ، والأهم : أريد كوبًا ضخمًا من الموكا بالحليب ، بسرعة !

لا يعلم أحد مدى تأثير هذه المشروبات الساخنة علىَّ ، يا إلهى ! وكأننى أتناول مشروبًا يمدنى بالأفكار .. بصراحة : أفكر منذ فترة باقتناء ماكينة صناعة القهوة الرائعة التى تشبه الماكينات الموجودة فى (جلوريا جينز) و(ستاربكس) .. أو ، يمكننى صناعة مثلها ، وشراء النكهات فحسب !

أو : يمكننى صناعة هذه النكهات أيضًا !

هذا لا يهمّ الآن .. أجلس على مقعدى ، وأبدأ برسم الفكرة التى فى رأسى ..

أفكر بعمل شىء يقرأ ذاكرة العيون !

نعم ، جهاز ، يقرأ كل شىء قرأته العيون خلال خمس أو سبع أيام مضت .. من المفروض أن يكون هذا الشىء عن طريق الدماغ ولكننى قرأت مرة أن العيون أصلاً تحتفظ بكل شىء رآه الشخص إلى حدّ قريب ..

www.looloolibrary.com

أبحث قليلاً فى جوجل وأتأكد من المعلومة عن طريق أكثر من مصدر ..

صدقونى : عملية البحث فى جوجل ليست بهذه السهولة ، هناك أسس خاصة لها ، ويومًا ما سأضع معلومات عن هذه الأمور فى قسم خاص من مدونتى ..

أريد أن أجرب هذا الجهاز على الطفلين كى أعرف كل شىء رأوه خلال الأيام الماضية ، الأيام الخمسة الماضية بالذات ..

أرفع هاتفى وأتصل :

ــ مرحبًا ، (سعيد) ..

ــ أهلاً سيد (سامر) ..

ــ هل أنت بخير ؟ والقسم التقنى كله ؟

(سعيد) يعمل معى فى القسم التقنى بالمخابرات العملية ، شاب ممتاز وأفكاره غير تقليدية ..

يقول :

ــ بخير والحمد لله .. وأنت ؟

ــ بخير والحمد لله يا (سعيد) ، بخير ..

ــ هل هناك شىء ، سيد (سامر) ؟

أقول باهتمام :

ــ نعم ، المعادلات الخاصة بالعيون التى كنت أنت و (سارة) تعملان بشأنها قبل فترة ، هل ما زالت عندكما ؟

ــ نعم ، بالتأكيد ..

ــ هى لأى شىء بالذات ؟

ــ إنها معادلات عن العيون بشكل عام ، وعن مدى استجابتها للأجهزة الصغيرة ..

لم أفهم ، فقلت له :

ــ ما الفكرة التى تعملان عليها ؟

ــ نفكر بعمل جهاز صغير للغاية ، يوضع داخل العين كما يضع الناس العدسات اللاصقة ، وهذا الجهاز يقوم بتغيير لون العين إن رمشت بطريقة معينة ، مرتين سريعتين متتابعتين مثلاً .. فتكون عيناك خضراوين وخلال ثوانٍ تصبحان زرقاوين ، أو سوداوين ..

تعجبنى الفكرة جدًا :

ــ رائع ، هذه فكرة جميلة ..

ــ أشكرك ، كما تشكرك هى أيضًا بالتأكيد ، (سارة) ..

أبتسم وأقول له :

ــ أرسل لى هذه المعادلات على بريدى الإلكترونى فورًا ، هناك شىء أعمل عليه ، وهذه المعادلات ستختصر علىَّ الكثير من الوقت يا (سعيد) ..

www.looloolibrary.com

يأتينى صوته فى سعادة :

ــ خلال دقائق سيد (سامر) ، لا تقلق ..

أنهى المكالمة معه وأسترخى فى مقعده .. القسم التقنى ! من قال إن هذه فكرة غير جيدة ؟

أشعر أنهم سيفيدوننى جدًا فى الأيام والقضايا اللاحقة ..

ينطلق فجأة صوت من حاسوبى ، لا شك أنها المعادلات .. أفتح البريد الإلكترونى ، وأبدأ بالقراءة ، والفهم ، والاستيعاب ، قبل الدخول فى التنفيذ ، والتطبيق ، والصناعة ..

أعرف خطتى ، أعرف الآن ما سأفعل ..

أنهض لأحضر بعض الصناديق التى عندى ، وبعض الحقائب الممتلئة بالقطع التى أريدها ، وتدخل علىَّ (ديالا) أيضًا مع الموكا بالحليب !

ملكتى .. لا تدرى أى سعادة تبثها فى عروقى ، بسبب كل شىء تفعله ، حتى لو كان على مستوى موكا بالحليب !

تخرج من المكتب ، وأبدأ ..

تمر علىَّ دقائق ، فساعة ، فساعتين ، وأنا منهمك بالعمل ، أضع شيئًا هنا وأقص شيئًا هناك ، محرك هنا ، سبعة أسلاك هنا ، مكبرات ، شرائح ، عالم من القطع الإلكترونية الدقيقة المريحة جدًا ، والتى تساعدنى فى ابتكار ما أشاء ..

أحيانًا ، يكون الحل أمامك ، بالأدوات التى تملكها ، بمحاولتك استغلال خبراتك فى الأشياء التى عندك .. لكن لا تفعل شيئًا ! تنتظر حلاً جاهزًا ، تنتظر طريقًا لأجلك ، مسارًا يلبى حاجاتك بكل سهولة ، الكثيرون هكذا ..

أنا على العكس : أصنع الجديد مما هو أصلاً لدى ، ومما يتوفر أمامى !

ينتزعنى من انهماكى رنين الهاتف ، إنه (ديمترى) ..

ــ نعم ..

ــ مرحبًا (سامر) .. هل انتهيت ؟

أزفر وأقول متنهدًا :

ــ تقريبًا ..

ــ حسنًا ، أنا انتهيت ، وبانتظار أن تمرّ علىَّ وتأخذنى للمستشفى فى طريقك ..

أضحك :

ــ أعتقد أننى أصبحت سائقك الخاص اليوم ..

ــ أعتقد هذا ..

يقولها ويضحك ، فأقول منهيًا المكالمة :

ــ حسنًا ، بعد قليل سأنتهى منه ، وأمر عليك ، لننطلق إلى المستشفى معًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أرتشف الرشفة الأخيرة من الموكا بالحليب ، قبل أن أعود للجهاز الجديد ، وأكمل ما بدأته ..

ها هو بين يدى أخيرًا ، قطعة توضع على العينين كمنظار السباحة الكبير ، وقطعة أخرى يتم وضعها على العنق من الخلف ، كى تقرأ ما تم فقدانه ، عن طريق موجات الدماغ ..

أبتسم ..

أخرج من المكتب لتنادينى (ديالا) ، لقد انتهت من إعداد الفيتوتشينى ، الوجبة الإيطالية الرائعة !

آكل بسرعة ، قبل أن أخرج ، ومعى الجهاز ..

ــ لا تتأخر يا (سامر) ..

ــ إن شاء الله ..

أركب التاكسى وأنطلق فورًا نحو (ديمترى) ، أتصل به فى الطريق أن ينزل خلال دقائق ، أصل إليه وأتوقف عنده ، يركب ونتجه فورًا إلى المستشفى ..

هناك ، كان (منذر) بانتظارنا ، شبه نائم ، وكما توقعت : لم يكن (همام) بجانبه ، لا شك أن لديه مرضى آخرين بعد أن واسى والدى الطفلين ..

ــ أهلاً أهلاً .. لقد غبتما عدة ساعات يا أصدقاء ..

ــ لم نكن نائمين مثلك يا عزيزى ..

أقولها بسخرية ، ليقول بعصبية :

ــ لم أكن نائمًا ، هذه مجرد غفوة قصيرة بسبب التعب ..

لا أعلق وأكتفى ببسمة ، فيردف مغيرًا الموضوع :

ــ .. ما الذى أنجزتماه ؟

أخبره بشكل موجز عن الجهاز الذى صنعته ، فيبدو الإعجاب على وجهه ويقول :

ــ أرجو أن يساعدنا على اكتشاف شىء جديد ..

يقول (ديمترى) :

ــ أما أنا فصنعت هذا ..

ومدّ يده إلى جيب معطفه وأخرج منه شيئًا أشبه بمسدس ، فضى اللون ، وهناك بعض الأسلاك تخرج منه ..

ــ ما هذا ؟

ــ هذا سلاح تكفى طلقة أشعة واحدة منه ، لتشلك تمامًا وتلقيك بدون حركة .. وقتها ستكون واعيًا مدركًا لكل شىء حولك لكنّك لن تستطيع أن تحرّك عضلة فى جسدك !

ــ الله عليك ..

أقولها له وأفكر : نهنئ بعضنا باختراعات مدهشة ــ تبًا لتواضعى ــ

Looloo
www.looloolibrary.com

وكأننا نهنئ بعضنا بأمور عادية وبسيطة للغاية .. بعض هذه الاختراعات ربما يدفع لنا بعض أصحاب رءوس الأموال من أجلها مبالغ طائلة جدًا .. لكننا لا نهتم ، لم نعد نهتم .. نسعى لعالم أفضل ، وهذا كل شىء ..

يسأل (منذر) ، موجهًا كلامه إلى (ديمترى) :

ــ هل أنهى (فابيو) عمله ؟ هل هناك أى معلومات جديدة ؟

يجلس (ديمترى) وأجلس بجانبه ، ويقول :

ــ طبعًا ، لا تستهن بقدرات (فابيو) أبدًا فهو يدى اليمنى التى أعتمد عليها كثيرًا جدًا .. لقد قام بكل ما هو مطلوب منه ، وحاول أن يستخلص أى شىء سيفيدنا من كل اللقطات التى تظهر فيها المرسيدس الخضراء ، لكنه لم يستطع التقاط وجه السائق ، وإنما رقم السيارة فقط ..

ــ فقط ؟

يقولها (منذر) ، قبل أن يضحك ويردف :

ــ .. هذا شىء مهم جدًا يا عزيزى .. أعطنى الرقم ..

يعطيه (ديمترى) رقم السيارة مكتوبًا على ورقة صغيرة كانت فى جيبه ، قبل أن ينهض (منذر) ، مخبرًا إيانا أنه سيتصل الآن مع الشرطة ليعرف جميع المعلومات عن هذه السيارة وصاحبها ..

أنهض من مكانى ويتبعنى (ديمترى) :

ــ إلى أين يا (سامر) ؟

ــ سأجرب الجهاز يا (ديمترى) ..

نمشى معًا وندخل الغرفة ، يرفع الجميع عيونهم إلينا ، الأم والأب ، و(رضا) و(على) أيضًا ..

ينهض الأب :

ــ أهلاً بكم ، هل من جديد ؟

أشير له أن يجلس وأنا أقول :

ــ كل خير إن شاء الله .. تفضل بالجلوس ..

ثم أردفت وأنا أعرض عليهم الجهاز الذى أمسكه فى يدى :

ــ .. اسمح لى أن أجرب هذا الجهاز على طفليك يا سيدى ، سنرى بعض الأشياء التى رأتها عيونهم ، ولا شك أننا سنطّلع على شىء مفيد ، ربما غاب عنا أو لم يكن فى بالنا ..

تقول الأم بقلق وقد وضعت يدها على صدرها :

ــ ما الذى تقوله ؟ هل هناك خطر عليهما ؟

أقول مطمئنًا إياها :

ــ على العكس تمامًا ، هذا شىء آمن جدًا ، وهو من تصميمنا وعملنا ، من إنتاج المخابرات العلمية ..

يرمقنى (ديمترى) بنظرة جانبية ، لا بدّ أن معناها : (لا تكذب عليهم

Looloo
www.looloolibrary.com

فهو من اختراعك منذ ساعتين فقط) !

لم أعره اهتمامًا وحافظت على ابتسامتى بوجه أفراد العائلة .. أنا مطمئن لفكرتى ، لخبرتى ، لثقتى فى نفسى وفى عملى ، وأيضًا : لمعادلات فريقى ، لو كان يجوز لى أن أقول هذه الكلمة الثقيلة عَلَىَّ نوعًا ما ..

يزفر الأب ويقول :

ــ حسنًا ..

أقترب من (رضا) قائلاً :

ــ سأبدأ بك أنت ..

يبتسم فى وجهى ، فأضع القطعة الأولى من الجهاز على عينه ، فهى أشبه بالمنظار ، قبل أن أقوم بإحناء رأسه كى أضع القطعة الثانية عند مؤخرة عنقه ..

ولكن ..

رباه !

أشهق بقوة وأشعر بدقات قلبى تدبّ فى كل جسدى ..

ما هذا الذى أراه بالضبط ؟

* * *

ينظرون إلى جميعًا بذعر ، وفزع ، وهلع ..

شهقتى أثارت خوفهم حتى أقصى حد ، وجسد (رضا) انتفض كله بين يدى ، وأنا أحدق فى مؤخرة عنقه ..

فهناك كان أثر لإبرة كبيرة !

نعم ، لا شكّ أنها إبرة ، هذا ثقب كبير لواحدة من الإبر الطبية التى تستعمل لإدخال شىء فى الجسم ، أو استخراج شىء من الجسم .. ولكن من هذه النقطة الحساسة جدًا ..

من الذى فعل هذا ؟

ولماذا ؟

تقول الأم :

ــ ماذا هناك ؟ هل هناك شىء فى (رضا) ؟

ويهتف (ديمترى) :

ــ ماذا هناك يا (سامر) ؟

ــ لا ، لا شىء ..

ــ لقد أثرت ذعرنا جميعًا ، أرجو أن تخبرنا ما الذى رأيته ..

أنظر لهم ، قبل أن أقول للأب مشيرًا إلى مؤخرة عنق ابنه :

ــ هل تعرف شيئًا عن هذا ؟

يقترب ويحدق جيدًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لا ، لا أعرف .. ما هذا ؟

أقول للأم أن تقترب أيضًا ، وأيضًا : لا تعرف ..

نقترب جميعًا من (على) ، وندير رأسه لنرى مؤخرة عنقه ، لنفاجأ بذات الشيء ..

لديه ذاك الثقب أيضًا !

أحاول طمأنتهم ، ولكن هنا دخل (منذر) ، ورأى امتقاع الوجوه ..

ـ ماذا هناك ؟

أقول محاولاً تغيير الموضوع قليلاً :

ـ ماذا عندك أنت ؟

ـ عرفنا عنوان صاحب السيارة الخضراء .. هل تذهب معى يا (ديمترى) ؟

يشير (ديمترى) بيديه ممانعًا :

ـ لا ، أنا أعتذر ..

أنهض وأقول :

ـ أنا سأذهب ..

يلتفت الجميع إلى بدهشة ، لكننى أسارع وأقول لأول المندهشين (ديمترى) :

ـ تعال دقيقة ..

أخرج من الغرفة ويتبعنى (ديمترى) :

ـ ماذا ؟

يتبعنا (منذر) ، ونغلق الباب خلفنا وأقول له :

ـ اسمع ، الأمر أعقد من شيخوخة سريعة أو مرض نادر .. هناك شيء غامض جدًا وأعتقد أننا اقتربنا كثيرًا من كشف سره ..

ـ حسنًا ، ولماذا ستذهب الآن ؟

أنظر فى عينيه مباشرة وأقول له :

ـ أعتقد أن الحل يكمن عند صاحب السيارة الخضراء ..

ـ لماذا ؟

ـ لا أعرف ، مجرد حدس ..

نصمت قليلاً ، ويتململ (منذر) فى وقفته بجانبنا دون أن يعلق .. ثم قال (ديمترى) :

ـ وبخصوص جهازك ، الذى يقرأ العيون ، متى ستجربه على الطفلين ؟

ـ أنت ستجربه ..

ينظر فى دهشة ، ويبتسم (منذر) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ .. نعم ، أنت ستجربه ، وأنا سأذهب مع (منذر) لعلنا نعرف شيئًا عن سائق السيارة الخضراء .. أعتقد أن وجودى مهم ..

ـ ولماذا أنا ؟

ـ وهل تتخيل أن أذهب أنا وأنت مثلاً لرؤية صاحب السيارة ويبقى (منذر) هنا ليجرب الجهاز على الطفلين ؟ أنت صاحب الخبرة التى تفهمنى يا صديقى ..

يبتسم متفهمًا ، تمامًا مثل (منذر) الذى لم ينكر شيئًا ..

يقول (ديمترى) :

ـ حسنًا ، اذهبا ، ولكننى أريد شيئين فى المقابل ..

يقول (منذر) وهو يخرج هاتفه من جيبه :

ـ طعام ؟

تبرق عينا (ديمترى) :

ـ نعم ، أريد شطيرتى (برجر) كبيرتين ، مع زجاجة مشروب غازى من الحجم العائلى ..

ـ والشىء الثانى ؟

يلتفت إلى ويقول :

ـ أن تخبرنى كيفية عمل الجهاز ، هذا هو الشىء الأهم طبعًا ..

نضحك ، وأخبره عن كيفية عمل الجهاز ، وكيفية قراءة البيانات ، وكيفية تحويلها إلى صور ، وكل شىء ..

يفهمنى بسرعة ، هذا ما أحبه فى (ديمترى) .. هو من نفس طينتى تمامًا ، نحن الاثنان مبتكران بالفطرة ، مخترعان ونعرف ما نريد بالضبط ، ولذا لا نعانى فى إيصال أى أفكار لبعضنا ..

لكن ، وقبل الذهاب ، قلت :

ـ (ديمترى) ..

ـ نعم ..

ـ أريد سلاحك ! السلاح الجديد الذى أنهيته قبل قليل !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

7 ـ زيـارة روتينيـة ..

نهبط أنا و(منذر) إلى سيارته ، نركب فيها وأنا أقول له ، مناولاً إياه السلاح الجديد الذى أعطانى إياه (ديمترى) :

ـ حسنًا ، أى معلومات عن سائق المرسيدس الخضراء ؟

ينطلق بالسيارة وهو يقول ، بعد أن وضع السلاح فى جيب خفى فى سترته :

ـ لا شىء مهم ، اسمه (عبد الرحمن الخطيب) ، شخص عادى جدًا وليس على سيارته سوى بعض مخالفات قطع الإشارة الحمراء ليلاً فقط ، فى النهار هو رجل ملتزم بالقانون كثيرًا ..

أهز رأسى وأنا أفكر ..

لم نذهب أنا و(منذر) بالتاكسى لأن الأمر بكل وضوح هو : أنه تاكسى ! ليس من المنطق أبدًا أن نذهب بسيارة تاكسى لسؤال شخص ما عن أشياء لها علاقة بالشرطة أو الحوادث الغامضة .. سيكون الأمر سخيفاً جدًا وخصوصًا لو رآنا صاحب الشقة أو صاحب البيت الذى سنزوره لنسأله !

نلتزم الصمت إلى أن نصـل البيت ، الذى لم يكـن بيتًا عاديًا .. هـذه فيلا جميلة ..

ننزل من السيارة ونمشى إلى أن نصل الباب ، وندق الجرس ، بعد أن تبادلنا نظرة جانبية أنا و(منذر) ، إذ رأينا المرسيدس الخضراء تقف أمام الباب ..

يأتينا صوت من الجهاز الحديث المعلق قرب الباب :

ـ من ؟

يقول (منذر) :

ـ نحن الشرطة ..

صمت ، ثم يسأل الصوت :

ـ لماذا ؟

ـ نريد التكلم مع صاحب المرسيدس الخضراء ..

ننتبه فجأة أنا و(منذر) إلى الكاميرا التى التفتت ناحيتنا وكأنها تنقل صورتنا إلى الشخص الذى يكلمنا مباشرة ، مما جعلنى أبتسم وأرفع حاجبًا من حاجبى وأنا أنظر لها ..

ـ لحظات ..

يقولها الصوت ، قبل أن يفتح الباب أوتوماتيكيًا ، ونسمع صوت خطوات ، ويطل علينا (عبد الرحمن الخطيب) ..

لا شىء مميز على الإطلاق ..

رجل عادى ، حليق الوجه ، قصير القامة قليلاً ، فى الأربعينيات من عمره تقريبًا ـ إن لم أكن مخطئًا ـ فى وجهه نشاط وقوة ، وفى عينيه الزرقاوين عزيمة عنيفة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ وماذا تريد الشرطة من صاحب هذه المرسيدس الخضراء ؟

ــ ألن تدعونا إلى الدخول ؟

أقولها بحذر ، فيلتفت لى ويتأملنى من الأعلى إلى الأسفل بسرعة ويقول :

ــ بالعكس ، أهلاً وسهلاً بكما ..

ندخل ، ونتأمل معالم الفيلا فى الطريق إلى غرفة الجلوس .. هناك أشياء جميلة جدًا هنا : تحف ، نثريات ، قطع تراثية ، سجاجيد إيرانية معلقة على الحائط ، صور ، لوحات ، مزهريات فيها ورد كبير الحجم ..

هذا أشبه بقصر قديم من الداخل !

إنهم أثرياء فعلاً ..

نجلس ، ويسود بعض الصمت ، قبل أن يقول الرجل :

ــ حسنًا ، المرسيدس الخضراء ..

يعتدل (منذر) فى مقعده ويقول :

ــ نعم ، هناك قضية جديدة ونعتقد أن لهذه المرسيدس يدًا فيها يا سيد (عبد الرحمن) .. قال لنا البعض : إنها كانت تحوم حول مكان تم فيه ارتكاب جريمة ..

لم يبد على (عبد الرحمن) أى استغراب ، بل على العكس قال :

ــ وأنا على استعداد تام للتعاون معكما ، ولكن هناك مشكلة صغيرة جدًا ..

يبدو الاهتمام على وجهينا ، وأقول :

ــ ماذا هناك ؟

ــ سيارتى مسروقة منذ أسبوعين .. لقد أعادها رجال الشرطة لى بالأمس فقط !

* * *

نحدق فيه بذهول ..

يضحك ويقول :

ــ ماذا ؟

ثم أخرج من جيبه ورقتين مطويتين وأعطانا إياهما مردفًا :

ــ .. هذه صورة عن الطلب الذى قدمته للشرطة قبل أسبوعين عن فقدان السيارة .. وهذه صورة أخرى عن كف الطلب ، فقد أعادوها بالأمس ..

ننظر إلى الورقتين جيدًا ، ندقق فى التواريخ ، والأختام الرسمية.. الرجل صادق ، أو .. أو أنه يكذب ، وهذه ليست سوى أدلة تنفى عنه أى شىء فعله !

ولكن ، هل فعلاً قام بارتكاب أى شىء ؟

يدخل علينا شاب أسمر فجأة ، ويسألنا إن كنا نرغب بشرب شاى أو قهوة .. نحاول الاعتذار ، ولكن (عبد الرحمن) يصرّ ، هذا الرجل مهذب ومتعاون فعلاً .. وابتسامته لطيفة وودودة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أفكر بينى وبين نفسى : السيارة مسروقة ؟

هذا ينسف كل شىء ..

يسأله (منذر) :

ــ هل عرفت أين كانت ؟

ــ لم أهتم ولم أسأل .. رجال الشرطة لم يقولوا لى أى شىء ..

ثم صمت قليلاً ونظر إلينا بشك ، وقال :

ــ لحظة ! كيف أعاد رجال الشرطة سيارتى بالأمس ، وأنتم لا تعرفون شيئًا عن هذا ؟

نبتسم ، ويقول (منذر) :

ــ فى الحقيقة ، نحن من المخابرات العلمية .. ولسنا من رجال الشرطة ، لكننا فى تحقيق يتضمن تعاونًا بين كل الجهات ..

لا يبدو عليه الفهم لكنه يهز رأسه ، كلمة (المخابرات) لها وقعها المعتاد على الأذن ..

يدخل الشاب الأسمر ويقدم لنا الشاى ، نبدأ بارتشافه ، قبل أن يقول الرجل :

ــ أتمنى لو أن باستطاعتى فعل أى شىء لمساعدتكما ..

ــ أشكرك ..

أقولها وأرتشف رشفة أخرى من الشاى ، إنه لذيذ فعلاً ..

ننتهى وننهض ، نستأذن منه ونخرج من البيت ، وقد تعلقت عيناى بصورة كانت على الحائط الذى بجانبنا ، قرب أحد الممرات التى مشينا فيها ..

نجلس فى السيارة ، وأقول :

ــ (منذر) ..

ــ نعم ..

ــ ربما أكون مخطئًا ، أو واهمًا ، ولكننى رأيت شيئًا غريبًا ..

يقول باهتمام :

ــ ما هو ؟

ــ هذا الرجل .. كانت على الحائط صورة قديمة له .. صورة تظهره بنفس الملامح الحالية ، ولكن الصورة ملتقطة منذ سنوات كثيرة جدًا حسب ما رأيت !

* * *

يقول (منذر) :

ــ ما الذى تقصده ؟

ــ أقول لك : هذا الرجل ، ربما هو فى الأربعينيات من عمره ، أليس كذلك ؟ لكن الصورة التى على الحائط ، ومن زاوية التصوير ، وطريقة التقاطها ، ولونها ، هى صورة قديمة ، منذ سنوات كثيرة .. لكن فيها نفس الرجل الذى استقبلنا !

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ما الذى تريد أن تقوله ؟

أغمغم بشكّ :

ــ أقول : إن هناك شيئًا غامضًا ..

يضحك ويقول وهو يشغل السيارة :

ــ لا تقل هذا .. ربما كان شقيقه الكبير ، أو هو والده ربما .. الكثير من الناس يشبهون آباءهم وخصوصًا مع تقدم العمر ، ولا تنس أنك تقول إن الصورة قديمة ، أى إن هناك تفاصيل ربما لم تنتبه إليها ..

ــ بل انتبهت جيدًا ..

ــ لم تكن الإضـــاءة قوية يا (سامر) حتى تحفـــظ الوجهين وتقارن بينهما .. ولنفرض أنه نفس الوجه فماذا يعنى هذا ؟ هل هو رجل معمّر ؟ مخلد ؟ لا يشيخ مثلاً ؟

قالها وضحك ، بينما أنا استغرقنى التفكير ، وقد انطلق بالسيارة فعلاً ..

فجأة رن هاتفى ، فضغطت زر الإجابة وبعده زر مكبر الصوت على الفور :

ــ (سامر) ..

قالها (ديمترى) الذى تظهر علامات القلق فى صوته المرتجف بشكل غريب ، فأجبت :

ــ هل توصلتما إلى شىء من قارئ العيون يا (ديمترى) ؟

يأتينى صوته :

ــ نعم ..

ــ ماذا هناك ؟

ــ هناك عدة أشياء غريبة يا (سامر) .. صور كثيرة للعبة ، صور كثيرة لوجوه الطفلين ، والأهم : صورة لوجه تكررت ملامحه مرتين فى ذاكرة الطفلين ..

أكاد أهتف وأنا أقول :

ــ وجه من ؟ لا تقل إنه وجهى أرجوك !

أقولها وعقلى يسترجع المواقف السابقة مع الياب الغامض ، ومع المذعوب المتحول .. الأول يعرف وجهى ويريدنى أن أفتح موقعًا إلكترونيًّا له ، والثانى يسيطر على حركاتى لأنه يريد أن أقول كلمتين تفتحان بوابة إلى مدينة الجماجم .. هذا الشىء الغامض ، والمدينة السرية التى لا أدرى عنها شيئًا ..

لا تقل : إنه وجهى يا (ديمترى) .. أرجوك !

يقول (ديمترى) :

ــ لا ، ليس وجهك طبعًا ..

ثم استطرد :

ــ .. الوجه كان لرجل حليق الوجه ، أزرق العينين !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

8 ـ رجل غامض أزرق العينين ..

ضغط (منذر) كوابح سيارته بكل قوة وهو يدور بها نحو اليمين فى عنف ، لتتوقف بجانب الطريق وهى ترتج ، ونحن نهتف معًا :

ـ ماذا ؟

يصمت قليلاً ، ويقول :

ـ رجل حليق الوجه ، أزرق العينين .. هل هذا يعنى أى شىء بالنسبة لكما ؟

أكاد أصرخ وأنا أقول :

ـ نعم يا (ديمترى) ، هذه ملامح (عبد الرحمن الخطيب)..

ـ ومن هذا ؟

ـ سائق سيارة المرسيدس الخضراء ..

يهتف :

ـ ماذا تقول ؟

ـ إنه سائق المرسيدس الخضراء .. والغريب إن الوغد أعطانا أوراقًا رسمية تفيد بأن سيارته مسروقة منذ أسبوعين .. ربما كان يكذب ..

يقول (منذر) فى غضب :

ـ بالطبع كان يكذب ، إنهم على درجة عالية من الثراء وعلى الأغلب استعمل نفوذه ليستخرج هذه الأوراق ، التى ستنقذه من أى شكوك تحوم حوله من الشرطة أو من أى جهات أخرى ..

يقول (ديمترى) :

ـ ماذا ستفعلان الآن ؟

ينطلق (منذر) بالسيارة عائدًا :

ـ سنعود إليه ..

أقول :

ـ ولكن ، ألا نحتاج موافقة أمنية أو أى شىء كهذا ؟

يمسك المقود بيده اليمنى ويمد يده اليسرى خلف ظهره ، ويخرج مسدسًا ، ويقول فى انتشاء :

ـ هذه موافقتى الأمنية ..

يا لذاكرتى !

نحن من المخابرات العلمية ، التصاريح الأمنية التى معنا تفوق كل القوانين ، وتسمح لنا بفعل أى شىء ، والتحقيق مع أى أحد ، واقتحام خصوصية كل شخص ، ما دام هـذا يهـدف إلى مساعدتنا فى حل قضية أو لغز ما ..

أتذكر فجأة ما رأيته وأنقله إلى مسامع (ديمترى) ، الذى ما يزال معنا على الخط ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يسكت قليلاً بعد أن أخبرته عن الصورة التى على الحائط ، قبل أن يقول :

ــ لا أدرى ، ربما أنت مخطئ ، ربما هذا لا يقول شيئًا مهمًا ، وربما فعلاً كان والده .. ما الذى ممكن أن يكون غير هذا ؟

أهز رأسى بعدم اقتناع ، أعرف ما رأيته .. إنهما نسخة طبق الأصل ، هل كان الرسام عرافًا أو متنبئًا مثلاً ؟ أم أن (عبد الرحمن الخطيب) هذا عرف سرًا للبقاء شابًا ؟

أين شركات العناية بالوجه عنك يا عزيزى ؟

أغلقت الهاتف مع (ديمترى) بعد أن أخبرته بما سنفعله ، لا شىء .. فقط سنحاول اقتحام الفيلا ومحاصرة (عبد الرحمن) هذا لسؤاله واستجوابه ، وعلينا ألا ننسى الشاب الأسمر أيضًا ، الذى يعمل لديه .. ربما يعاونه ..

نوقف السيارة بعيدًا عن الفيلا ، ونقترب مشيًا أنا و(منذر) ، ولكن قبل أن نقفز عن السور ، ألتفت إلى (منذر) فجأة :

ــ لحظة ..

ــ ماذا ؟

ــ لماذا نغامر باقتحام الفيلا ونقوم بعمل ضوضاء لا داعى لها ؟ لم يعرف الرجل بأننا عرفنا وجهه من الصور التى انطبعت على عيون

الطفلين ، أليس كذلك ؟ سندخل ونكمل الأسئلة ولكن بصراحة أكثر ، ولكننا سنكون متحفزين ، جاهزين لأى ردة فعل ..

يومئ برأسه موافقًا ، ونقترب من الباب ، وندق الجرس ..

تمر دقيقتان ، قبل أن يفتح الشاب الأسمر لنا الباب ، ويقول فى تهذيب :

ــ تفضلا ..

يقول (منذر) بكل هدوء :

ــ نريد رؤية السيد (عبد الرحمن) قليلاً ..

ــ أعتذر منك ، لقد دخل ليرتاح ..

أنظر إليه ثم أنظر إلى الكاميرا وأقول بصرامة :

ــ نريده الآن ، الأمر عاجل وهام ولا يحتمل التأجيل ..

يقول الشاب مجددًا وبكل تهذيب :

ــ أعتذر منك ..

وفجأة سمعنا صوت (عبد الرحمن) من خلفه :

ــ لا مشكلة ، أنا هنا ..

يبتسم الشاب الأسمر ، ويميل جانبًا ليطل وجه (عبد الرحمن) حليق الوجه أزرق العينين .. ها أنت ..

ــ خيرًا ، هل نسيتما شيئًا ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

نحدق فى وجهه قليلاً ، ويقول (منذر) :

ــ نحتاج لأن نتكلم معك فى مكان خاص ، وحدنا ..

يتكئ على الباب ويقول بسخرية :

ــ سيارتى كانت مسروقة .. ما الذى تريدونه بالضبط ؟

أباغته فجأة :

ــ ذلك الرجل الذى يشبهك تمامًا فى الصورة المعلقة بالممر ، من هو ؟

ألمح ارتجافة شفته السفلى لجزء من الثانية قبل جوابه السريع :

ــ والدى ..

ــ أنت تكذب !

أقولها وقد شعرت بالاستفزاز ، ليصمت ، قبل أن يقول لى :

ــ لماذا أكذب ؟ هى صورة والدى فعلاً .. نحن نشبه بعضنا كثيرًا ..

أباغته بسؤال آخر وأنا أنظر فى عينيه مباشرة :

ــ من صمّم لك الموقع الإلكترونى الذى يدلك على أماكن وجود الأطفال التوائم القريبين منك ؟

يبتسم بغموض ، ويحدق فى وجهى ، قبل أن يقدم على آخر شىء كنت أتوقعه :

لقد صرخ !

صرخ صرخة عالية ، مدوية ، جعلتنا نتراجع نصف متر إلى الوراء من فرط الدهشة ، حتى أن (منذر) سحب مسدسه ووجهه نحوه على الفور ، لكن الصرخة لم تكن من صوت فقط .. الصرخة كان لها وزن ، وثقل ، وكثافة ..

الصرخة كانت عنيفة ، هائلة ، موجاتها انطلقت نحونا وأصمت آذاننا تمامًا ، وجعلتنا نصرخ بدورنا ولكن من فرط الألم ، قبل أن يسقط المسدس على الأرض ، ويسقط خلفه (منذر) وهناك بعض نقاط الدم تسيل من أنفه ، وأنا مثله أيضًا ..

.. بلا حراك !

* * *

رأسى يؤلمنى بشدّة ..

عيناى مغمضتان ، لكننى شيئًا فشيئًا أفتحهما لأميز الموجودات من حولى ، ببطء ..

تتضح الرؤية ، ويتضح الشعور : أنا مقيد على مقعد خشبى ، فى قاعة استقبال أخرى غير التى جلسنا فيها أول مرة ، بجانبى (منذر) المقيّد أيضًا ، والذى ما يزال فاقدًا وعيه ، وأمامنا يجلس (عبد الرحمن) ، بجانبه خادمه الأسمر ، والاثنان ينظران لنا بطريقة غريبة..

يبتسم ابتسامة لعينة ، ويرفع حاجبًا ويقول :

ــ مبروك ، لقد استيقظت أخيرًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أذناى ما زالتا تؤلمانني ، ما هذه الصرخة العنيفة التى أطلقها فى وجوهنا ؟ هل هو رجل خارق وهذه قوته الخارقة ؟ الصراخ الذى يفقد الآخرين وعيهم ؟

قلت له وأنا أحاول تحرير يدى من خلف ظهرى :

ــ إذًا فهو أنت أيها الوغد ؟ كيف فعلتها ولماذا ؟

يضع ساقًا على ساق ، ويسترخى فى مقعده ويقول :

ــ فعلت ماذا ؟

أقول له وقد أيقنت أن القيود محكمة بشكل متقن جدًا :

ــ أنت تعرف ..

يبتسم ، ويشير بيده لخادمه الأسمر ، فيذهب قليلاً إلى الداخل.. قبل أن يقول لى :

ــ كانت زيارتكما لى ممتعة للغاية ، وادعاء أننى لا أعرف شيئًا عن قدومكما كان شيئًا ممتعًا أكثر ، لكن حضوركما الآن وسؤالك لى ذاك السؤال الذى فاجأنى ؛ رفع مستوى المتعة أكثر فأكثر ..

أقول ورأسى يؤلمنى ، بينما (منذر) يتحرك ببطء وقد بدأ يستعيد وعيه تدريجيًا :

ــ من أنت ؟

يقول بسخرية :

ــ أنا (عبد الرحمن الخطيب) !

أقول بغضب وحدّة بصوت عال :

ــ من أنت حقًا ؟ لماذا فعلت هذا ؟ ومن صمم لك ذلك الموقع الإلكترونى ؟ وما هدفك بالضبط ؟ وما الذى جعلك تفعل هذه الأشياء البشعة بالطفلين ؟ وكيف فعلت كلّ هذا ؟ و ...

يقاطعنى فجأة وهو ينهض من مقعده :

ــ لحظة ، لحظة ..

ثم أردف مشيرًا لى بسبابته :

ــ .. أنت تسأل كثيرًا ، رغم أنك مقيد فى مكان لا يعلم أحد أنك فيه ، ورغم أنك يجب أن تبقى صامتًا دون أى كلمة ..

ــ لكننى أريد أن أعرف ، كما أن الكثيرين يعلمون أننا هنا ..

يضحك ويقول :

ــ حقًا ؟

واستطرد بسرعة وهو يمشى ببطء متأملاً السقف :

ــ صديقى الذى كان هنا قبل قليل ، خرج ليتخلص من سيارتكما ، ومن جهاز تحديد الأماكن عبر الأقمار الصناعية والذى لا بدّ أنه ملحق بها .. وهواتفكما أيضًا معه ، وسيجىء خلال دقائق معدودة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يصرخ (منذر) فجأة :

ــ أيها اللعين ! سأقتلك ! سأقتلك !

يتجاهله الرجل تمامًا ، بينما أنظر أنا إليه نظرة سريعة مغزاها أن يسكت ، فيسكت وهو يشهق ويزفر بعنف ، محركًا جسده يمينًا ويسارًا فى محاولة للتخلص من قيوده ..

أسأله بحيرة :

ــ لا أفهم شيئًا .. هلاّ أعطيتنا بعض التفسيرات على الأقل ؟

ــ حسنًا ..

يقولها ويجلس ، لينظر فى عيوننا الممتلئة بالتساؤل لوهلة ، ثم يقدم على آخر فعل نتوقعه ..

لقد فتح فمه ، ليبرز فجأة ناب طويل من وسط سقف حلقه تمامًا ، طوله يقترب من طول السبابة ، مائل قليلاً ، وشكله مخيف..

ناب ، برز فجأة وكأنه كان مخفياً داخل رأسه ، وطال ليصبح هكذا أمامه ..

لأول مرة فى حياتى أرى نابًا يبرز من وسط الفم بهذا الشكل ، لم أره فى حيوان أو حشرة ، فضلاً عن أراه فى إنسان ، يجلس أمامى ، ويحدق فى وجهى بكلّ وحشية ..

قلت فى فزع :

ــ ما هذا بالضبط ؟

يبتسم ، ويعود الناب إلى موضعه ، قبل أن يقول :

ــ ألم تعرف بعد ؟ ألم تربط كل الخيوط ببعضها ؟

ــ لا ..

ــ أنا مصاص دماء نفسى !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

9 ـ مصاص الدماء النفسى ..

أقول بدهشة :

ـ ما هذا الذى تقوله ؟

يقول بهدوء وببساطة :

ـ أقول إننى مصاص دماء نفسى ..

يهتف (منذر) :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

يعود ليتحرك ببطء فى القاعة التى نحن فيها وهو يقول :

ـ تعرفون مصاصين الدماء .. كلكم .. أنا لست منهم للأسف وإلا كانت المهمة أسهل بكثير على .. سأقتل أحدهم فقط لأمتص دمه وأعيش ، وهكذا تنتهى المشكلة ..

أقاطعه :

ـ لحظة ، هل تقول إن هناك مصاصى دماء ، حقًا ؟

يهز رأسه إيجابًا وهو يقول :

ـ نعم ، طبعًا ..

أتبادل نظرة ملؤها الصدمة والذعر من (منذر) ، والرجل يردف :

ـ .. للأسف لم أكن من هذا الطراز ، بل من الطراز الآخر الملعون ، والمغضوب عليه ..

ـ أى طراز ؟

يزفر ويقول بحنق :

ـ نحن العائلة الوحيدة المتبقية من مصاصى الدماء النفسيين .. نحن ملعونون منذ زمن طويل للغاية ، ولكى نحيا لا بدّ من طقوس معينة ، وإلا متنا .. فى الماضى كنت أتعب كثيرًا كى أؤمن لنفسى المادة النخاعية والطاقة النفسية التى يحتاجها جسدى .. الآن لم يعد الأمر كما كان فى السابق ، شكرًا للتكنولوجيا ..

يسأله (منذر) فى توتر :

ـ أى مادة نخاعية ؟

ـ للأسف ؛ جنسنا محكوم بالحصول على المادة النخاعية الموجودة فى أعناق الأطفال التوائم ، صغار السن ، فقط ، ويكتمل مفعول هذه المادة النخاعية مع طاقتهم النفسية أيضًا .. ولهذا كنا نتعب كثيرًا جدًا فى الماضى ، وكانت أحيانًا تمر أعوام أو عقود قبل أن نجد توءمين صغيرين فى السن ..

أقول فى توتر :

ـ هل هذه المادة أشبه بغذاء لك مثلاً ؟

يهم بالإجابة ولكن فتح الباب فجأة ، ليدخل منه خادمه الأسمر ، ويقترب منها .. نظر إليه فتوقف مكانه ، وأجاب :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لا طبعًا ، هذه المادة هى التى تكمل ما يفعله الناب الذى يبرز من سقف حلقى وقت الحاجة ، الذى أريتكما إياه قبل قليل..

أهم بأن أقول شيئًا لكننى أتذكر فجأة ما رأيته خلف عنق الطفل الصغير (رضا) فى المستشفى ..

ذلك الثقب ، الذى اعتقدت أنه من أثر إبرة كبيرة ..

ذلك الثقب !

أصرخ :

ــ إذًا فأنت فعلت هذا بالطفلين ؟

ــ (رضا) و(على) ..

ــ نعم ، ذاك الأثر فى مؤخرة عنق كل منهما ، من ذات الناب الذى سيترك أثرًا فى مؤخرة عنق كل منكما !

* * *

تجاهلت ما قال ، وقلت :

ــ إن لم يكن هذا من أجل الغذاء ، فمن أجل ماذا ؟

يجلس فى مقعده ، وينظر فى عينى ، ويقول :

ــ هل تعلم كم عمرى ؟

ــ لا ..

ــ حاول أن تخمّن ..

أقول فى حذر :

ــ كم ؟ فى الثلاثينيات ؟ فى الأربعينيات ؟

يتراجع برأسه إلى الوراء ويضحك قائلاً :

ــ أنا فى التسعين من عمرى !

نحدق فيه بذهول ..

اللعنة ! ما هذا ؟

فى التسعين ؟

يهتف (منذر) بعصبية :

ــ ماذا ؟

ــ أنا فى التسعين ، ولا يبدو على هذا أبدًا لأنّ هذا ما أفعله ، هذا ما يفعله الناب ، وتفعله المادة النخاعية الموجودة فى أولئك الأطفال التوائم صغار السن ..

أهز رأسى بعنف وأنا أقول بانفعال :

ــ لا أفهم شيئًا .. لا أفهم شيئًا أبدًا ..

يتنهد ويقول :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ جنسنا ملعون كما أخبرتك .. المادة النخاعية الموجودة فى مؤخرات أعناق الأطفال هى السبب الذى يجعلنا نتخلص من الشيخوخة .. عمرى الآن تسعون عامًا ولكننى أبدو فى أواخر الثلاثينيات .. هذا بسبب المادة التى أخذتها من الشقيقين ، بواسطة الناب الموجود فى فمى .. لم أضطر للبحث عن توائم صغار ، إيجادهم فيه صعوبة كما أنه مثير للشك .. لذا طرأت فكرة الموقع الإلكترونى فى رأسى ، واستعنت بشركة ضخمة فى تصميم الألعاب لعمل ذلك الموقع الذى رأيتموه حتمًا ، بالإضافة إلى بعض خبرات صديقى المخلص وخادمى الأمين (سراج) طبعًا ..

قالها وهو ينظر إلى الخادم الأسمر الذى ما يزال واقفًا فى مكانه بكل هدوء ، ينظر إلينا جميعًا ..

نظرت إليه للحظة ، ثم أعدت النظر إلى (عبد الرحمن) وقلت :

ــ إذًا فأنت فعلتها قبل هذه المرة ؟

ــ ماذا تقصد ؟

ــ أقصد أن (رضا) و(على) ليسا أول طفلين تستدرجهما عن طريق هذه اللعبة ؟

يصفق ويقول :

ــ نعم ، بالضبط ..

أقول بقلق :

ــ إن كان هناك أشقاء غيرهم ؟ فأين هم ؟

يتبادل نظرة جانبية مع (سراج) ثم يجيب :

ــ لقد تخلصنا منهم !

* * *

أنظر فى وجهه بغضب عارم ..

تخلصوا منهم ؟

ــ ماذا تقول أيها اللعين ؟

يقول بهدوء :

ــ تخلصنا منهم ، قتلناهم .. بعد أن سحبتُ من أولئك الأطفال مادتهم النخاعية وطاقتهم النفسية ، لم أعد بحاجتهم ، صاروا كبارًا فى السن وصغرت أنا واختفت تجاعيـدى .. كنت بحاجة لأكبـر عدد من الأطفال حتى أفعل هذا .. وكان لا بدّ أن أقتل كل عينة أستخدمها كى لا يقولوا شيئًا طبعًا ..

ــ ولأجل هذا قتلتهم ؟

ــ نعم ، بالتأكيد ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يهتف (منذر) :

ــ أيها الحقير ! سأقتلك بيدى .. سأقتلك ..

أقول باهتمام :

ــ ولماذا لم تقتل (رضا) و(على) ؟

يقلب كفيه ويقول :

ــ يبدو أن هناك عاملاً لا أعرفه ، يتحكم بمستوى الصحة عندى ، بعد أن أقتل الأطفال الذين آخذ منهم الطاقة النفسية والمادة النخاعية .. هناك أثر رجعى ، وفور قتلى لكل توءمين كانت شيخوختى تعود ، ببطء طبعًا ولكنها كانت تعود ، ولكن مع (رضا) و (على) كان الأمر مختلفًا ، فقد أبقيت على حياتهما لأجلى ، وها أنا كما ترانى ..

وأشار إلى نفسه وجسده بطريقة مسرحية مكملاً :

ــ .. ممتلئ بالشباب !

أنظر إليه والغضب الهائل يتملك كل جسدى .. هذا الوغد ! يقتل الأطفال كى يعيش ، وضميره مرتاح جدًا ، بل وحتى يستعمل التكنولوجيا حتى تساعده فى تأمين ما يحتاجه !

وهذا الوغد الآخر : (سراج) ، لا شكّ أنه ساعده بالكثير من عمليات الخطف والقتل ..

أسأله :

ــ ولماذا اختفت ظلالهما ؟

يسأل باهتمام :

ــ من ؟ (رضا) و(على) ؟

ــ نعم .. لقد اختفت ظلالهما ، لماذا ؟

يقول :

ــ بسبب الطاقة النفسية التى أخذتها منهما .. إنها تؤثر على كل شىء ، وسرعان ما سيصبح لها تأثير أكبر من مجرد اختفاء الظلال فقط ..

يقول (منذر) فى توتر :

ــ ماذا تنويان أن تفعلا بنا ؟

يقول (عبد الرحمن) بعد أن تبادل نظرة مع (سراج) :

ــ رغم أننا تخلصنا مما يربطكما بالآخرين إلا أننى أحب اتباع حدسى بهذه الأمور ، وحدسى يخبرنى أن مكوثكما هنا حتى هذا الحد سيجلب لى المتاعب ، ومن الأفضل أن أتخلص منكما بأسرع وقت ..

والتفت إلى (سراج) وقال كلمة واحدة :

ــ كالعادة !

Looloo
www.looloolibrary.com

ونظر إلينا ، قبل أن يودعنا بأصابعه ، ويرسل لنا قبلة عبر الهواء ، لم نعرها أنا و(منذر) أى اهتمام ، باستثناء أن الغضب والحنق والتوتر والذعر ، وأكثر ؛ كان يظهر على ملامحنا ، دون أن نعلق بأى كلمة ..

تابعناه وهو يخرج من الباب ، ليلتفت إلينا (سراج) وعلى وجهه ابتسامة شيطانية ، وقد أخرج مسدسًا من جيبه ، ووجهه نحونا مباشرة ..

أنظر إلى (منذر) وأصرخ فجأة :

ــ أيها اللعين ! كان من الأفضل لنا أن نهرب من هنا !

ينظر إلى بدهشة ، لكنه يلمح تلك الابتسامة بطرف فمى ، والتى ظهرت لجزء من الثانية ، وقالت له الكثير ..

يصرخ هو أيضًا :

ــ الذنب ذنبك أنت !

أبادله الصراخ :

ــ كلا ، هو ذنبك أنت أيها الوغد !

ــ أيها الحقير !

ــ أيها الحثالة !

ــ أنت الحثالة !

ــ لا تشتمنى هكذا أيها الحقير !

نتبادل السباب و (سراج) يقترب منا ، مديرًا رأسه يمينًا ويسارًا بينى وبين (منذر) ، إلى أن صار وسطنا تمامًا .. وهنا صرخت بكل انفعال :

ــ الآن ..

وبنفس اللحظة ، بينما يحاول (سراج) أن يستوعب ما الذى نحن على وشك أن نفعله ، وبالمقاعد التى نحن مربوطان بها ، حركنا أجسادنا بكل قوتنا وطاقتنا ، وبكل عنف ، تجاه (سراج) ، لنسقط نحن الثلاثة على الأرض ، وهو بيننا ، يصرخ من شدة الألم..

وهذا ما كنت أريده ؛ إذ إن ساقى تحررت ، قبل أن يقوم بعمل أى شىء قد أندم عليه لاحقًا ، ووجهت بها ركلة عنيفة نحو وجهه الذى كان أمامى مباشرة ..

صرخ بشدة ، لكنه نهض على قدميه بسرعة ، ناظرًا إلىَّ بغضب شديد ، وأنا أحاول تحرير نفسى وتحريك جسدى والنهوض مثله ، لكنه لم يمنحنى فرصة ، بل اقترب منى بسرعة ولكمنى لكمة عنيفة فى أنفى ، فجرت الدم منه ، وفجرت الألم فى رأسى كله ..

أغمضت عينى لثوانٍ والألم الشديد يسيطر على كل رأسى وأنفى وجسدى أيضًا ، ثم فتحتهما لأجد (سراج) يقف أمامى وبيده المسدس ، وقد فتح فمه ليبرز مثل ذلك الناب المخيف الذى كان فى فم (عبد الرحمن) قبل قليل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

المشهد كان مرعبًا جدًا ، وأنا بلا حولٍ ولا قوة ، والمسدس كان نحوى ، و(سراج) يبتسم ويقول :

ــ وداعًا ..

وسمعت صوت إطلاق النار !

* * *

10 ــ الهـــروب ..

وجُها (ديالا) ، و (كريم) ، هما اللذان مرا أمامى بسرعة البرق ، وقد أغمضت عينى باستسلام ، منتظرًا الموت ..

سمعتُ صوت إطلاق النار ، وتوترت كل أجزائى للحظة ، قبل أن أنتبه أننى ما أزال على قيد الحياة ..

أفتح عينى ، لأجد أجمل منظر فى العالم :

(منذر) يقف على بعد مترين ، وبيده السلاح الذى أعطيته إياه بعد أن أعطانى إياه (ديمترى) ، وقد أطلق منه دفقة من الأشعة على (سراج) ، الذى أصابته الأشعة قبل أن يضغط الزناد بجزء من الثانية ، مما جعل كل جسده يرتج ، والرصاصة تنطلق ، ولكنها لم تصبنى فى مقتل والحمد لله ..

مرت بجانب رأسى واستقرت فى الحائط .. هذا أفضل مما كنت متوقعًا إياه بكثير ..

يقترب منى ويحل قيودى بينما أقول له :

ــ حمدًا لله .. كيف فعلت هذا ؟

ــ لا شىء ، وقوعنا أرضًا عليه جعل إحدى يدى تتحرر ، وهكذا حررت نفسى بينما أنتما تتصارعان ، ونهضت لأجده يكاد يطلق النار عليك ، لم أجد أمامى سوى أن أستخدم السلاح الذى أعطيتنى إياه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أنهض وأقول له :

ــ وسلاحك ، أين هو ؟

ــ لا شكّ أنهما تخلصا منه .. ولم يجدا هذا لأننى أخفيته فى جيب خاص فى سترتى ، ربما لهذا لم ينتبها إليه ..

يقولها ثم يشير إلى (سراج) الملقى أرضًا ، وبيده المسدس ، وقد شخصت عيناه فى السقف دون أى حركة كالمشلول ، ويسألنى بحيرة :

ــ ما الذى حصل له ؟ هل مات ؟

أقترب من (سراج) وآخذ المسدس منه وأقول بثقة مبتسمًا :

ــ كلا ، هو حى بالطبع ، وبالعكس هو فى قمة وعيه أيضًا فى هذه اللحظة ، لكنه غير قادر على فعل أى شىء قبل مرور عدة ساعات ، نكون نحن فيها قد تصرفنا معه التصرف الأمثل ..

ــ وما هو ؟

ــ سنعرف بعد قليل ..

يهتف (منذر) فجأة :

ــ (عبد الرحمن) ! لا شكّ أن هذا الوغد قد هرب !

أنظر إليه ونتجاهل (سراج) ، ثم نندفع إلى الخارج بسرعة ودقات قلبنا تتسارع ، نفتح الباب وننظر ، المرسيدس الخضراء غير موجودة ، لقد هرب ..

أخرج هاتفى وأتصل على (ديمترى) ، أسمع صوت الاتصال قليلاً قبل أن يأتينى صوته :

ــ لقد تأخرتما كثيرًا ، ماذا هناك ؟

أصدمه بما حدث ، أخبره بشكل موجز عن (عبد الرحمن) ، وعن مصاصى الدماء النفسيين ، وعن ذلك الناب ، وعن تلك الطاقة النفسية والمادة النخاعية ، وعن (سراج) الملقى أرضًا فى الداخل ، بعد أن جربنا عليه السلاح ..

أسمع صوت ضحكته بسعادة على الهاتف :

ــ إذًا فهو سلاح فعال ؟ هذا رائع ..

أقول بحرج :

ــ هناك هارب خطر يا (ديمترى) وأنت سعيد لأن سلاحك فعال ؟ حقًا ؟

ــ ربما كنت ميتًا الآن بدونه يا (سامر) .. وعفوًا ، لا شك أنك تشكرنى بأعماقك الآن لأجل هذا ..

أضحك وأقول له :

ــ ما الذى سنفعله الآن ؟ هــل نجلب (سراج) ونأتى للشــقة أم نتصل بـــ ...

لم أتم عبارتى لأن (منذر) قاطعنى :

ــ أعتقد أننى مع الشرطة أيضًا يا (سامر) ، أليس كذلك ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

وابتسم مردفًا :

ــ .. هم فى الطريق إلى هنا لأخذ (سراج) إلى القسم التقنى من المخابرات العلمية ، والذى ندين نحن ، لأن لديهم الكثير لفحصه والتعرف عليه ، فهذا جنس جديد وجدير بالدراسة وعمل الأبحاث عنه وعليه .. أما أوصاف المرسيدس الخضراء فقد قمت بالتعميم على أوصافها ولا شك أنهم سيجدونها ويجدون صاحبها قريبًا جـدًا ، لنحاسبه على جرائمه البشـعة تلك ..

أهز رأسى إيجابًا وأقول فى الهاتف :

ــ هل سمعت يا (ديمترى) ؟

ــ نعم ، سمعت .. حسنًا ، ماذا ستفعلان الآن ؟

ــ سننتظر أن تجد الشرطة المرسيدس الخضراء ، ووقتها سنتصرف..

أنهى المكالمة معه ، ونعود أنا و(منذر) إلى الداخل ، ونجلس بجانب (سراج) ونحن نتبادل المزاح ، لا لشىء إلا لجعله يتفجر من الغيظ !

جاء رجال الشرطة والمخابرات العلمية بعد نصف ساعة تقريبًا ، أخذوا (سراج) وانتشروا فى المكان كله مع الكلاب البوليسية ، ونحن نقف بقربهم ، ونتابع كل ما يفعلون ..

انطلق صوت أحد رجال الشرطة فجأة من لاسلكى الضابط الذى بجانبى :

ــ سيدى ، يجب أن تأتوا لتروا هذا ..

تحركنا جميعًا لنرى ، لنفاجأ بوجود قبو فى الفيلا ، فيه عدة ثلاجات كبيرة ، بجانب بعضها البعض ..

كنت متوقعًا أن نرى ما سنراه ، ولكن المنظر كان سيبدو مريعًا على جميع الأحوال ..

كانت هناك جثث الأطفال المقتولين ..

التوائم الصغار !

* * *

يصرخ الضابط :

ــ يا للبشاعة !

يقف (منذر) محدقًا وغير مصدق ، بكل تلك الجثث صغيرة السن والحجم ، الممزقة ، بينما أنا اكتفيت بنظرة واحدة سريعة ثم اندفعت إلى الخارج ، عاقدًا حاجبى ، وقد بلغ الغضب منى مبلغه..

تمر دقائق قبل أن يتبعنى (منذر) :

ــ (سامر) .. (سامر) ..

ــ اعذرنى ، لم أستطع أن أرى ..

ــ لا ، هناك شىء آخر ..

ــ ماذا هناك ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لقد وجدوه !

* * *

أنظر إليه بكل سعادة ولهفة وأمل ..

ـ حقًا ؟

ـ نعم ، وجدوا المرسيدس الخضراء قرب بيت خارج المدينة ، على مسافة نصف ساعة من هنا فقط ..

ـ ورجال الشرطة ؟

يجيبنى بثقة :

ـ يبتعدون بمسافة لا بأس بها عن البيت والسيارة والشارع كله ، اطمئن ..

ثم سألنى :

ـ .. لماذا ؟

ـ لأننا سنذهب إلى هناك أيها العبقرى ..

نغادر فورًا أنا و(منذر) بسيارة أخذناها من أحد رجال الشرطة بعد أن أخبرنا الضابط ، والذى تعاون معنا بسرعة ، قبل أن أتصل على (ديمترى) ..

ـ ماذا يا (سامر) ؟

ـ أريد أن تعطى أمرًا ..

ـ لمن ؟

ـ (فابيو) ..

يقول بدهشة حقيقية :

ـ (فابيو) ؟

ـ نعم ، (فابيو) ..

يسأل :

ـ ما الذى تريده منه ؟

ـ أريده أن يرسل إلى هاتفى طاقة متفجرة ..

يسكت قليلاً ، ثم يقول بحذر :

ـ لكن هذا خطير يا (سامر) ..

ـ أعلم ..

ـ هل تقول لى إنهم وجدوه ؟

ـ نعم ، قبل دقائق ..

يقول فيما يشبه الرجاء :

ـ دع الشرطة تلقى القبض عليه ، وسيحاسبه القانون ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ كلا ، سأحاسبه أنا ..

ــ لكنك رجل قانون !

أقول بنفاد صبر :

ــ أخبر (فابيو) بهذا يا (ديمترى) ، بسرعة ..

وأنهيت الاتصال معه ، لأجد عيون (منذر) المتسائلة ترمقنى ، وباستفساره السريع :

ــ طاقة متفجرة ؟ ما هذا ؟

ــ ستعلم بعد قليل ..

تمر نصف ساعة ونحن فى الطريق دون أى اتصال من الشرطة .. جيد للغاية ، هذا يعنى أنه ما يزال هناك ، فى البيت الذى بغبائه ما تزال المرسيدس الخضراء عند بابه ..

نقترب من المكان ، وإذ باتصال يأتى (منذر) فجأة :

ــ نعم ..

ــ لقد خرج الآن من البيت ..

تتحفز كل حواسى ، و(منذر) يسأل :

ــ هل معه أى شىء ؟

ــ نعـم ، حقيبـة .. لقد وضعها فى السيارة ، وها هو يركب السيارة الآن .. أين أنت ؟ هل نهاجمه ؟

كنا قد اقتربنا كثيرًا ، ها هم رجال الشرطة المختبئون جيدًا ، وهناك ، هناك ، (عبد الرحمن) فى سيارته ، التى شغل محركها بالفعل ، وانطلق بها ..

ــ أسرع يا (منذر) .. أسرع ..

أقولها بحماس وقد تجاهل (منذر) سؤال المتصل ، بل وألقى الهاتف عند المقاعد الخلفية فى سيارته ..

يلمحنا (عبد الرحمن) ونلمحه ، يزيد السرعة ، ويزيد (منذر) السرعة أيضًا ، و ...

.. وتبدأ المطاردة !

* * *

انطلقنا خلفه ، ومن ورائنا انطلقت أصوات سيارات الشرطة ..

زاد السرعة واندفع فى شارع جانبى ، وحرك (منذر) المقود بسرعة ليتبعه ..

أهتف :

ــ هيا يا (منذر) ! اقترب منه فحسب ..

يزيد من عزم السيارة وقوتها ، ويضغط على دواسة البنزين أكثر ،

Looloo
www.looloolibrary.com

بينما (عبد الرحمن) يزيد السرعة بشكل أكبر ، الوغد ! إنه محترف بالقيادة ..

يتبعه (منذر) بكل تصميم ، ومن ورائنا فى المرآة كانت سيارات الشرطة تبتعد ، فلم يكونوا قادرين على اللحاق بنا ، (عبد الرحمن) مندفع بأقصى سرعة ، ويدخل فى شارع ليخرج من آخر ، ويميل يمينًا وينعطف ويسارًا ، و(منذر) يتبعه فى كل خطوة بكل مهارة ، لدرجة أننى شعرت بالسيارة على وشك أن تنقلب بنا أكثر من مرة لولا أنه أحكم سيطرته عليها بشكل جيد للغاية ..

تستمر المطاردة لوقت أطول ، وقد اختفت سيارات الشرطة من ورائنا تمامًا ، وقلت المسافة بيننا وبينه إلى حد أننا أصبحنا خلفه بالضبط ..

هذا ــ تمامًا ما كنت أريده ..

ــ اقترب أكثر يا (منذر) ..

يقترب (منذر) بالسيارة أكثر ، ويرتطم بالصندوق الخلفى لسيارة (عبد الرحمن) ، وأخرج أنا هاتفى الذى ارتفعت حرارته مباشرة بعد أن أخبرت (ديمترى) أن يطلب من (فابيو) ما طلبته منه .. الطاقة المتفجرة ..

أمسك الهاتف ، وأفتح النافذة وأخرج بنصف جسدى إلى الخارج ، و(منذر) يهتف :

ــ ماذا تفعل أيها المجنون ؟

أتجاهل سؤاله ، وأنا ألقى الهاتف نحو سيارة (عبد الرحمن) ، ليطير نحوها ويرتطم بالصندوق ، و ..

ويدوى الانفجار !

* * *

انفجر الصندوق الخلفى للسيارة بصوتٍ عال ، واشتعلت فيه النيران بصورة مباغتة ، مما جعلها تميل على جانبها ثم تنقلب مرتين ، بينما (منذر) ضغط على كوابح السيارة بكل قوته ، لتدور حول نفسها ، ثم تتوقف مثيرة عاصفة من الغبار ..

سكون ..

هدوء ..

ــ هيا يا (منذر) ..

أصرخ به وأنا آخذ مسدسًا كان فى جيب السيارة ، أمامى ، قبل أن أفتح الباب وأنزل بسرعة ، مشهرًا مسدسى ، و(منذر) خلفى وقد أشهر مسدسه بدوره ..

نقترب من السيارة ، ها هو (عبد الرحمن) أمامنا ، خلف مقود سيارته المقلوبة ، يحاول أن يخرج من السيارة بصعوبة ، وقد غرق وجهه بالدماء ..

ــ ارفع يديك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يصرخ بها (منذر) وهو يقترب منه ، ليقوم (عبد الرحمن) بآخر ما أتوقعه منه :

لقد استل مسدسًا من خلف ظهره ، ووجه فوهته نحو(منذر) بسرعة غريبة ، وأطلق النار ..

صرخت من المفاجأة والذعر ، بينما صرخ (منذر) من الألم ، إذ انطلقت الرصاصة واخترقت لوح كتفه ، ناثرة الدماء فى وجهه ، ملقية بجسده إلى الخلف ، نحو الأرض ، فاقدًا وعيه ..

وفورًا مرت أمام وجهى الكثير من الصور ، والأحداث ..

(رضا) و(على) ، شعور الأبوين بالظلم والحزن على طفليهما ، وأنا الأب الذى يعرف هذه المشاعر جيدًا جدًا .. كل تلك الجثث التى للأطفال الصغار ، والتى وجدها رجال الشرطة فى القبو .. الرصاصة التى تلقاها (منذر) فى كتفه لتوه .. كل هذا مر أمام عينى وأنا أوجه المسدس نحو (عبد الرحمن) ، و ...

ومباشرة قبل أن أطلق النار ، التفت (عبد الرحمن) نحوى ، وصرخ تلك الصرخة من جديد ..

لكننى كنت أسرع ..

أطلقت الرصاصة ، مباشرة مع بداية صرخته ، والتى أصمت أذنى ، قبل أن تستقر الرصاصة فى منتصف جبينه !

سقطت على الأرض ، بينما هو ظل واقفًا مكانه لثوانٍ ، والدم يسيل من ثقب الرصاصة ، وعيناه تحدقان بوجهى ومسدسى ، فى ذهول منقطع النظير ..

وهنا ، رأيت أغرب مشهد :

لقد سقط على الأرض ، وبدأت ملامحه تتغير ، وشكل وجهه وجسده يصبح شيئًا آخر ..

إنه يكبر !

إنه يشيخ !

ينتشر الشيب فى شعره ، تنتشر فى وجهه التجاعيد ، يسقط على الأرض والدم يتجلط ويتحول لونه إلى لون أسود مثير للغثيان ، أنظر إليه وأنا أكاد أستفرغ ما بمعدتى على الأرض ..

ملامحه تكبر أكثر ، التجاعيد تنتشر كفيروس من طراز جديد ، وجسده يصغر ..

أمامى الآن (عبد الرحمن) آخر ، ميت على الأرض .. رجل فى التسعين من عمره ، وقد اختلط دمه ، بتجاعيده ، بملامحه المذهولة ، بالدهشة ، وبالرصاصة أيضًا ..

آخذ شهيقًا عميقًا ، وأنا أنظر إلى جثته .. الحمد لله .. زال الخطر .. الحمد لله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أسأل الله أن يكون بعون والدى (رضا) و(على) ، سيكون عليهما أن يتحملا رؤية طفليهما بهذه الحالة ، للأبد ، ما لم يموتا أولاً خلال أعوام ، أو أشهر !

أنظر إلى (منذر) ، تزامنًا مع صوت اقتراب سيارات الشرطة والإسعاف ..

انتهى الخطر ..

انتهى كل شىء !

* * *

11 ـ الختـــام ..

نضحك جميعًا فى المستشفى ، وقد جلسنا كلنا حول (منذر) المسترخى فى السرير ، وقد ضمد الأطباء كتفه المصاب ..

أنا و(ديمتـرى) ، ومعنا الصحفى (يوسف) والممرض الشاعر (همام) أيضًا .. وقد أحضر كل واحد منا باقة ورد ، عليها ورقة مكتوب فيها تمنياتنا بشفائه ..

ـ حمدًا لله على سلامتك يا صديقى ..

أقولها وأنا أنظر إليه مبتسمًا ومشجعًا ، ويقول (ديمترى) :

ـ كيف سمحت له أن يطلق الرصاص عليك هكذا ؟

يجيبه :

ـ لا أعلم ، كان سريعًا جدًا ..

قالها وحاول أن يعدل من وضعيته ، لأنهض وأساعده على إسناد ظهره ، مربتًا على كتفه ..

يقول (همام) :

ـ المهم أنك بخير ..

أجلس بينما يسارع (يوسف) ويقول باهتمام وانفعال :

ـ ماذا ستفعلون بشأن (سراج) ؟ ذلك الذى أخبرتمونى عنه ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ينظر إليه (ديمترى) ويقول محذرًا :

ــ ككل شىء يقال هنا يا (يوسف) ، لا شىء قابل للنشر أبدًا ما لم نقل لك هذا مباشرة ..

يبدو الضيق على وجه (يوسف) مما يجعلنى أقول :

ــ نعم ، السرية أولاً وأخيرًا ، هذا هو المهم ..

يقول (ديمترى) :

ــ سنقوم بعمل بعض الأبحاث عليه ، يجب أن نعرف أكثر عن جنسه ، وعن الخصائص التى يتميز بها جسده وعضلاته وكل ما فيه ، ويجب أن ندرس الناب بالذات ، وأن نعرف إن كان لديه تلك القوة التى تجعله يصرخ إلى هذا الحدّ الغريب ..

يقول (همام) وهو يفرك يديه ببعضهما :

ــ وماذا عن (رضا) و(على) ؟

يقول (ديمترى) وهو يعبث فى هاتفه المحمول :

ــ عليهما أن يختفيا عن الأنظار مع والديهما ، والإدارة تفكر جديًا بأن تقوم بعمل هويات جديدة لأفراد العائلة جميعًا ، وأن يسكنا فى مكان بعيد ، كى لا يثيروا شكوك أحد ..

أبتسم وأنا أنظر إليهم جميعًا ..

ما أروعهم !

أتذكر (ديالا) و(كريم) بغتة ، وأتذكر وعدى له بأن نذهب فى رحلة ترفيهية ..

لم أكن أعلم ما الذى يخبئه القدر لى ..

لم أكن أعلم أن الرحلة الترفيهية ستتحول إلى شىء آخر ..

لم أكن أعلم ما أنا مقدم عليه ..

لم أكن أعلم !

* * *

(تمت بحمد الله)

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية

مغامرات مجنونة لسائق تاكسى غريب الأطوار

تاكسى

4

حسن الحلبى

اختطاف

ما الذى قد يجعل طفلين نائمين ، يكبران فى العمر إلى هذا الحد ، خلال عدة ساعات ؟

هل هناك مرض غامض أو وباء نادر ، يجعل المرء يشيخ ويكبر فى العمر هكذا ؟ وما علاقة التوائم بالزمن ؟

5 / 1 / 618

الثمن فى مصر 7

وما يعادله بالدولار الأمريكى

فى سائر الدول العربية والعالم

العربية الحديثة

الخط الساخن

19350